إلى كل فتاة

تؤمن بالله واليوم الآخر

رعد كامل الحبالي

تقديم

أ.د.عماد الدين خليل

دار ابن حزم

إلى كل فتاة

تؤمن بالله واليوم الآخر

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى كل فتاة
تؤمن بالله واليوم الآخر

رعد كامل الحيالي

تقديم

أ.د.عماد الدين خليل

دار ابن حزم

حُقُوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ

طَبْعَة دَار ابن حَزم الأُولى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

ISBN 978-9953-81-453-7

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - ص.ب: 14/6366

هاتف وفاكس: 701974 - 300227 (009611)

بريد إلكتروني: ibnhazim@cyberia.net.lb

إهداء

إلى كل فتاة مسلمة
آمنت بالإسلام عقيدة وشريعة
ونظام حياة أهدي هذا
الجهد المتواضع

المؤلف

تقديم

أ.د عماد الدين خليل

الحجاب اصطلاحاً: هو أحد المرتكزات الشرعية الأساسية لتنظيم العلاقة بين الرجل والمرأة. وهو، **لغة**: حجب للعرى والفتنة وما يقودان إليه من إثارة للغرائز والشهوات، وتفكيك للروابط الاجتماعية وسوق للحياة باتجاه الأهواء والنزوات.

إنه على هذا وذاك، ميزة أساسية للمجتمع الإسلامي عن سائر المجتمعات الوضعية والدينية المحرّفة، وقاعدة لإنشاء حياة تقوم على النظافة والطهر والإخلاص، وتوظيف للدافع الجنسي في قنواته الصحيحة، حيث لا إفراط ولا تفريط. وقبل هذا وذاك، حماية للأسرة باعتبارها لبنة الحياة الاجتماعية ومنطلقها.

إنه الخط الفاصل بين مجتمع يؤمن بالله ورسوله ﷺ ويقوم على تعاليم الكتاب والسنَّة، وبين المجتمعات الكافرة، أو المضللة، والتي تحكم بما لم

يأذن به الله وتأمر بما يصطنعه لها الكهنة والأرباب والضّاعون.

والنتيجة على مستوى التحقق الاجتماعي والتاريخي، أن تشهد البشرية نمطين من المجتمعات لا ثالث لهما: مجتمع الالتزام والطهر والنظافة والتسامي، حيث يوضع الإنسان، الفرد، والأسرة، والجماعة موضعها المهندس على عين الله ورسوله ﷺ، ومجتمع الفحش والرذيلة والانحلال والسقوط، حيث تكتسح الشهوات الأفراد والأُسر والجماعات وتسوقها إلى البوار والتفكك والضياع.

إن (الإيدز) الذي يصنعه انهيار الحجاب ليس بداية الكارثة ولا نهايتها، فمن قبل تحدث المفكرون والمصلحون وعلماء الاجتماع عما فعله الاختلاط غير المرسوم في الناس، وهم يتحدثون اليوم عن الفساد الذي يكتسح البر والبحر والذي يبلغ حد أن تعلن إحدى الكنائس الإنكليزية عن استعدادها لعقد الزواج النمطي بين الرجل والرجل من أجل أن تكسب مزيداً من الاتباع، وأن يوافق مجلس العموم البريطاني بأكثرية ساحقة على ممارسة الشذوذ الجنسي واعتباره أمراً «مشروعاً».

إذا وسعنا المنظور فإننا سنجد الحجاب ـ

إسلامياً ـ يتجاوز بُعده الاجتماعي الأخلاقي صوب دائرة أشمل وأبعد، إنه يحمل بُعداً (حضارياً)، ليس فقط لكونه يحمي الطاقة البشرية من الهدر والتضييع، ويعين القدرة على الإنجاز ويرفع وتائرها، وإنما لكونه يتجذر في البدايات الأولى.. في لحظات الخلق الإلٰهي للإنسان الذي حمل في البر والبحر وكرم على المخلوقات وأريد له أن يكون سيداً (على العاملين).. أن يتعفف ويتطهر ويتغطى.

إن آدم عليه السلام وزوجه لحظة تناولهما ثمر الشجرة المحرمة، عوقبا للحظات بالعرى، ولكنهما ما لبثا أن طفقا يخسفان عليهما من ورق الجنة، ويكفي أن نقرأ هذا المقطع من سورة الأعراف (الآيات: ١٨ ـ ٢٨) بحثاً عن الجذور الموغلة للظاهرة، وعن البُعد الحضاري للحجاب الذي أريد للإنسان أن يوظفه في
اثنين: الستر والتزيين: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ
فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ
(١٩) فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن
سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا
مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ (٢٠) وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ
ٱلنَّٰصِحِينَ (٢١) فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا
سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ

أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ
مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا
لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ
وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ
وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ
لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ
ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ
ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا
لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا
جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً
قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ
بِٱلْفَحْشَآءِ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

منذ بدايات الخلق أريد للإنسان أن يتغطى ويتزين، حيث يصير الاحتشام والحجاب مرادفين للزينة والجمال وحيث يكتسبان بُعداً (حضارياً).

حيثما تلفتنا وجدنا الحجاب، ليس في حدوده الفقهية المنظمة فحسب، وإنما على امتداد الحياة البشرية في كل خلاياها ومنحنياتها وممارساتها ودروبها.. فإما النظافة والطهر والجمال، وإما الفحش والقبح والفجور.. ولا شيء بين هذا وذاك.. لا شيء وراء هذا وذلك.. وليس بعد الحق إلا الضلال.. والضلال

يمتد اللحظة قبالتنا تماماً حيث تشيع الفاحشة وينتشر الفجور وتصير اللواطة قانوناً (مباحاً).

والقوادة أسلوباً (ضاغطاً) لاستدراج قادة الأمم والشعوب إلى الشباك والفخاخ التي يعرف شياطين الأرض كيف يوقعونهم فيها وكيف يمسكون بهم من قرونهم كما قالوا يوماً في (بروتوكولات صهيون).

والضلال يمتد قبالتنا حيث تمسك الصهيونية بتسعين في المائة من صناعة السينما والإعلان وبنسبة غالبة من وسائل النشر والإعلان في أمريكا وأوروبا وكثير من دول العالم الأخرى.

ويصل المنطلق إلى هذا كله، نقطة البداية لهذا كله، هو الحجاب الذي بتحققه يقوم المجتمع المتوازن الجميل، وبانهياره يجيء الزهري والسفلس والإيدز، فيأكل الأخضر واليابس. وحيث لا يأمن الزوج على زوجته ولا هذه على زوجها. ويتكاثر أولاد الحرام فلا تكاد تستوعبهم المحاضن الملاجىء، وحيث يصير الفعل الجنسي المحرم نزوة إبرة يتحتم إطفاؤها سريعاً كما يشرب الإنسان العطشان كأساً من الماء فيما قالت به يوماً تنظيرات الماركسية البائدة في بدايات تشكل الاتحاد السوفياتي المنحل على يد عالم النفس الماركسي المعروف (ولهلم رايخ) وفيما دفع لينين نفسه بعد سنتين

فحسب إلى أن ينه محتجاً، ويدعو ثانيةً إلى الاحتشام والتعفف واحترام قوانين العائلة وإلا أصبح الجيل التالي من السوفيات كله من أولاد الحرام.

الحديث يطول، وما أرادت يوماً أن تفعله صحفية معروفة كأمينة السعيد بدعوتها الملحة لإسقاط الحجاب وتدمير الضوابط الإسلامية، فزلّت الأقدام وانهارت المعايير وعمّت الفاحشة، ما كانت سوى محاولة مرسومة لنقل المتاعب والشروخ التي تعاني منها المجتمعات الغربية إلى بيئتنا التي حصنها الإسلام بالطهر والفضيلة والعفاف، وحماه بمنظومة من الضوابط والمعايير، بحجة أنهم ما داموا قد تفوقوا علينا حضارياً فإنه علينا من أجل اللحاق بهم أن نقلدهم في كل شيء، حتى وهم يتعرون، حتى وهم يغضون الطرف عن خيانات الزوجة للزوج والزوج للزوجة، حتى وهم يلدون فلا يعرف أحد إن كان المولود من صلب الزوج نفسه أم من أصلاب الأصدقاء والمعجبين.

واليوم يجيء الرد في بلاد الإسلام نفسها التي أريد لها أن تتمرد على الحجاب... وتتعرى اليوم: في الشارع والجامعة والمؤسسة والبيت وأماكن الترفيه وفي كل مكان يعود الحجاب لكي يفرض نفسه، لكي يجابه كل الضغوط والتحديات وينهض قائماً متحدياً، هو

الآخر، قديراً على مجابهة الفساد، والعنف والتفكك، والرذيلة التي تسربت كالسرطان في جسد المجتمعات المعاصرة، ولكي يقول للناس: إن سنَّة الله سبحانه وتعاليم رسوله ﷺ هي القاعدة وغيرها الاستثناء مهما امتد واتسع، وانتفش وتكاثر، وإنه لا تبديل لخلق الله.

بل إن تحديات الحجاب تتجاوز المدن والبيئات الإسلامية إلى بلدان الغرب نفسه، فاليوم ـ على سبيل المثال ـ يثور جدل عنيف في فرنسا حول الظاهرة، وتكتب عنها البحوث والمقالات، وتستعدي السلطة وأزلامها وإعلامها، ويتحرك يهود هذا الزمن لإشعال النار ووقف انتشار (الظاهرة) التي يعرفون جيداً أنه إذا قدر لها النجاح فإنها ستكون ـ بالنسبة لهم على الأقل ـ بداية التراجع والانكماش والسقوط.

إنه قانون التوافق مع الفطرة لا الاصطراع معها، فهو إذن القاعدة مهما تراجع وانحسر، وغيره الاستثناء مهما تورم وانتشر، وخيل لامرأة كأمينة السعيد، وآلاف غيرها من الرجال والنساء، أنه آن الأوان لإزاحة الحجاب بإطلاق الحب على الغارب، حيث يعود الإنسان لكي يتعرى كرة أخرى.

إن الألف والاعتياد، قد يقتلان ـ أحياناً ـ عناصر الجدة والدهشة والانبهار والجذب في الظواهر الكونية

والاجتماعية، ولذا فإننا قد نجد الغربيين وهم يعاينون الحياة الإسلامية من الخارج ويتعاملون مع أبجدياتها السلوكية والاجتماعية - ابتداءً - يبهرهم الحجاب، تدهشهم قدرته الحيوية الفائقة على حماية المجتمع من التفكك والرذيلة والفساد الذي غرقوا فيه هناك حتى شحمة أذنيهم، تأسرهم الحياة العائلية العفة الآمنة المطمئنة التي يصنعها الحجاب والتي فقدوها هناك. وقد يكون هذا - بالذات - سبباً لانتمائهم إلى هذا الدين أو تقييمهم لمعطياته بخصوص المرأة في أقل تقدير.

تقرأ هذا مثلاً في كتاب كوستاف لوبون (حضارة الغرب) الذي يغطي ما كان يحدث في أخريات القرن الماضي، كما نقرأ - على سبيل المثال فحسب - في كتاب (رجال ونساء أسلموا) ذي الأجزاء العشرة التي حررها (عرفات كامل العشّي) والتقى فيها مع عشرات من الرجال والنساء الذين أسلموا عبر العقود الأخيرة. وغير هذين الكتابين كثير مما يمكن أن نطالعه فيما قاله مفكرون كمارسيل بوازار في كتابه (إنسانية الإسلام)، وهنري دي كاستري في كتابه (الإسلام: خواطر وسوانح)، واتين دينيه في كتابه (أشعة خاصة بنور الإسلام)، وول ديورانت في كتابه (الطريق إلى مكة)،

وجاك ريسلر في كتابه (الحضارة العربية)، وسيدويو في كتابه (تاريخ العرب العام)، وزيغريد هونكه في كتابها (شمس الله تسطع على الغرب)، ولورا فاغليري في كتابها (دفاع عن الإسلام).

واليوم نشهد أمراً عجباً.. إن العديد من الممثلات الشهيرات ممن اصطلح على تسميتهن بـ(النجوم) يتمردن على تيار التبرج والتبذل والعهر، ويلتزمن الحجاب وهن يعرفن جيداً إنه البداية والمنطلق وإنه بدونه ليس ثمة التزام على الإطلاق، وهن بتحجبهن يشعرن ـ فيما صرحن به للصحف والمجلات ـ بلذة لا تعدلها لذة وطمأنينة تساوي كل لحظة من لحظاتها عشرين سنة أو ثلاثين من العمل الفني الذي تاجرن فيه بأثديتهن ولكنهن لم يكنّ سعيدات على الإطلاق.

الكتاب الذي بين أيدينا ـ على إيجازه ـ يعتمد منهجاً محكماً يسعى إلى تغطية سائر المفردات ذات العلاقة بالحجاب، المعنى المشروعية، الحدود، المواصفات والشروط، فضلاً عن ملاحقته لعدد من الادعاءات والدعوات الضالة والرد عليها وتفنيدها.

والكتاب يتجاوز الصيغة الأكاديمية الصرفة في معالجة الموضوع، ويسعى إلى أن يكون خطاباً شرعياً وتربوياً في الوقت نفسه فيكسب حيوية أشد ويحقق أصلاً مؤثراً مع الآخرين. فما كادت طبعته الأولى تصل إلى السوق حتى تلقفتها أيدي القرّاء فنفدت بالرغم من اختصار توزيعها على مدينة الموصل كما يقول مؤلف الكتاب الذي اضطر إلى إعادة طبعه ثانية وثالثة ورابعة.

وهو يعتمد منهجاً (وسطاً) بين التشدد والمرونة، ويلتزم الحياد مكتفياً بأسلوب عرض الأدلة الشرعية دون الترجيح، وهو يقف ـ أحياناً ـ بين أدلة الخلاف موقف الحاكم بين الخصمين. والمؤلف يذكّر في مقدمة الطبعة الثانية بواحدة من المبادىء الضرورية في أدب الخلاف والتي طالما نسيها البعض أو تناساها لسبب أو لآخر، فكان الجدل المُلح، والنقاش الذي يعبر ساحته الطبيعية صوب حافات التكلف والتمحل، وربما الكراهية والبغضاء بما لم يأذن به كتاب الله ولا سنّة رسوله ﷺ، ولا توجهات هذا الدين (الميسر السمح) الذي أُنزل (رحمة للعالمين)، و(شفاءً لما في الصدور) يقول الأخ المؤلف: (إني مع اعتدادي برأيي الذي قد يؤاخذني البعض عليه، أكره الخلاف والشذوذ، وأحب السير مع

الجماعة، وأنزل عن وجهة نظري التي أقتنع بها بغية الحفاظ على وحدة الأمة، ولكي أفوت الفرصة على أعداء الإسلام الذين يحرصون دوماً على إثارة الخلافات، كتلك التي تشغل بال المسلمين وما أكثرها).

وهو في معالجته لمسألة تغطية الوجه والكفين يعطي مثلاً من بين أمثلة ومواقف عديدة أخرى في سياق الكتاب كله على الموقف المرن الذي يلم برؤيته الشاملة أطراف المسألة كافة، فلا يتشبث بهذه الجزئية أو تلك، مما يميل بالمعالجة إلى التشدد الذي قد لا تطيقه كل فتاة، وإنما يتابع بحرص وإلمام جل الأدلة الشرعية التي تفتح المزيد من القنوات لكي تجعل من مواصفات الحجاب وشروطه التزاماً ممكناً ومغرياً في الوقت نفسه.

وكلنا نعرف أن الخيار الإسلامي في أية مفردة من مفردات الجهد التعبدي والسلوكي والشرعي ينفتح على مستويات عديدة تتراوح بين التيسير في حدوده القصوى المتاحة، وبين الأخذ بالعزم والشدة لمن يقدر عليهما رغبة في صعود درجات أخرى صوب الأعلى في الدرب الطويل، وابتغاءاً للمزيد من القربى من الله سبحانه.

والقرآن الكريم والسنَّة الشريفة يقفان عند هذه

المسألة في مواضع شتى لن يتسع المقال لاستقصائها ولكننا نكتفي بالإشارة إلى اثنتين:

الآية الكريمة التي تقول: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾﴾[١]، والحديث الشريف الذي يقول: «**إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق**»[٢].

إن التزام الحجاب بالذات، فضلاً عن كونه تنفيذاً لأمر الله ورسوله ﷺ، فإنه يحمل أوجهاً شتى، ويدفع إلى مستويات عديدة من الجهد والتحقق: فإنه يكون تعبيراً عن الذات المؤمنة في مواجهة الانحلال، وقد يكون استجابة للتحدي بتأصيل الشخصية في الساحة الجامعية والوظيفية، وقد يكون ابتغاءً للمزيد من الإيغال باتجاه مواقع (الإحسان).

ولكن وفي كل الأحوال فإنه ليس ثمة في الإسلام، وعلى خلاف النصرانية تماماً، تأكيد للإحساس بالذنب وهيمنة الخطيئة وهما أمران مدمران للصحة

---

(١) سورة النساء، الآية: ٩٥.

(٢) جزء من حديث رواه البزاز.

النفسية إذا تجاوزا حدودهما المعقولة، ومن ثم يجيء المنهج السمح الذي يعتمده الأخ المؤلف والذي يذكرنا بما فعله ويفعله شيوخ معاصرون كالغزالي والقرضاوي، ذوو خبرة وتجربة يشهد لهما بها جمهور المسلمين. وهو منهج ضروري في زمن الحصار النفسي والتحديات الصعبة التي تحتم علينا اعتماد أكبر قدر من المرونة، في دائرة الدليل الشرعي بطبيعة الحال، كي لا نسوق الأجيال الناشئة الراغبة في الالتزام إلى مواقع التيبس والتشنج والانكسار.

والمؤلف في ثنايا كتابه يصوغ تعابير ومبادىء عن قضية الحجاب تدل على حس مرهف في التعامل مع الموضوع، فهو يقول مثلاً: (إن الاحتشام لا يمنع الأناقة ولا يدعو إلى التهكم، وقد يكون التبرج أدعى إلى السخرية). صفحة (١٣٤).

ونقف لحظات عند هذه الكلمات فقط لنتذكر حادثة ملك الماكياج الأمريكي، صاحب مصانع (ماكس فاكتور) المشهورة، الذي يقال: إنه وهو يتجول في حديقة للحيوان مع صديق له، وقف لدقائق قبالة قفص القرود وحدّق طويلاً في عينَي إحداها وكأنه أحسّ بدهشة صديقه وتساؤله فقال: على رسلك يا هذا، فليس ما يدعو للدهشة، انظر إلى عينَي القرد جيداً ألا

ترى حولهما حلقات ذوات ألوان شتى من الأزرق والأخضر والأحمر والبنفسجي وغيرها؟ نظر الصديق لحظات وما لبث أن أجاب: عجيب، رغم أنني لم ألحظها من قبل! قال الملك باعتداد: تلك هي مهمتي على أية حال، أراد الصديق أن يتساءل مرة أخرى فأسكته بإشارة من يده قائلاً: إن إحساسي باللون لا يضاهي وإلا كيف أصبحت ملك المكياج في العالم كله؟ ولكن ليس هذا هو المهم.

المهم هو أن أجعل نساء الأرض يحطن أجفانهن بالألوان نفسها، وقد أضيف إليها نقاط ارتكاز ضوئي ذي بريق لكي يستكمل المهرجان أسبابه، وقال وهو يغادر المكان مربتاً على كتف صديقه: المسألة مسألة وقت فحسب، ولسوف ترى.

انزلوا الآن إلى الأسواق، اذهبوا إلى الدوائر والمؤسسات، ادخلوا بعض قاعات الدرس في الجامعات ولسوف ترون المهرجان اللوني الذي وعد به (ماكس فاكتور) يحيط بأجفان النساء، والموظفات وطالبات الجامعة، وسواء صحت الرواية أم لم تصح، ذلك أن واقع الحال يغني عن كل مقال.

وابنة (موشي دايان) قائد جيش العدو في معارك الخامس من حزيران تتذكر هذا أو شيئاً منه وتكتب في

مذكراتها أنها وزميلاتها اليهوديات يدهشن لإلحاح الفتاة العربية في (الماكياج)، بل إن المرء وهو يتجول في جامعات الغرب ودوائره يجد النساء هناك ـ في الأعم الأغلب ـ غير متزينات وكأنهن يقلن: ليس هذا مكانه وللتزين موعده.

عندنا تختلط الأوراق وتنسى بعض الطالبات أنهن ذاهبات لتلقي العلم وليس لقضاء سهرة في ملهى ليلي. أتذكر أيضاً أحد أساتذتي الفضلاء في جامعة بغداد، الدكتور فاضل حسين (رحمه الله) وهو ـ على هدوئه المعهود ـ ينفعل على حين غفلة ويتطاير الشرر من عينيه ويصرخ ويصرخ موجهاً كلامه إلى إحدى الطالبات، كانت (هذه) وليس ثمة مبرر للتفاصيل في (وضع) لا يليق بحرم الجامعة ولا بكرامة الإنسان.

وأقوال أخرى يسردها المؤلف يمكن للقارىء أن يعثر عليها بنفسه، ونكتفي بأن نؤشر على اثنين منها فحسب، (اللائي يدّعين أن الحجاب دفن للمرأة تحت خيمة سوداء، بحيث لا تشم هواءً، ولا ترى شمساً، وعزلاً لها عن مجتمعها، هن أكثر النساء جهلاً أو تجاهلاً بمقاصد الشريعة الإسلامية السمحاء). (ويظن الكثير من الآباء والأمهات أن تبرج بناتهن واستعراض

جمالهن يعجّل بزواجهن، فيعرضون بذلك بناتهم كما يعرض التاجر سلعه للبيع، لترمقهن الأعين وتتفحصهن بالنظرة تلو الأخرى، وليسمعن قبيح الكلام من مرضى النفوس، ولم يفطن هؤلاء الآباء والأمهات إلى أن الذي يطلب الزواج بابنتهم لجمالها، ولا يستنكر تجردها من الحياء والاحتشام وخروجها عن أداب الإسلام، هو رجل فاسق شهواني يبحث عن جسد ليتمتع ولا يبحث عن قلب سليم ليسعد، فلن يكون هذا الرجل زوجاً صالحاً) صفحة (١٣٨، ١٤٠).

وفي فصل (أقوال لا رصيد لها)، مناقشة مدعمة بالأدلة الشرعية والشواهد السلوكية والاجتماعية للعديد من الأقاويل والادعاءات والدعوات الباطلة التي روجها (الكتّاب الذين يجهلون الشريعة، والمتأثرين بالثقافة الأوروبية) (١٤٨).

حتى مرحلة الخمسينات وبداية الستينات كانت المكتبة الإسلامية تعاني من فراغ ملحوظ في معالجة قضايا المرأة وبخاصة الحجاب. كانت هذه موزعة في كتب التفسير والحديث والتراث الفقهي ولم تكن ميسرة لمعظم القراء والمتابعين، وكانت بحاجة إلى لَمّ مفرداتها وإعادة تقديمها للناس وفق مناهج البحث الحديث الذي يضع بين يدي المعنيين جلّ ما يتعلق بموضوعة ما من

الموضوعات، من أجل الإلمام بمعطياتها والسيطرة عليها.

وعندما ترجم كتاب (الحجاب) للمودودي رحمه الله، حقق رواجاً (كبيراً) لكونه من المحاولات المبكرة في الموضوع. كانت هنالك أيضاً محاولات قيمة للسباعي رحمه الله، والبهي الخولي، وفصول موزعة في مؤلفات محمد قطب.

وتتابعت السنوات، وأصبح (الميدان) نفسه ـ كما يقولون ـ يفرض حضوره على الكتّاب الإسلاميين لكي يقولوا كلمتهم في الحجاب ويتعاملوا مع كل مفرداته ومطالبه. وها هي المكتبة الإسلامية، وبموازاة الحضور المؤثر للحجاب في المؤسسة والشارع والتعليم والحياة العامة، تتلقى المزيد من البحوث والدراسات التي تدعم المسيرة، وتقودها، وتهديها سواء السبيل، محاولة ما وسعها الجهد ألاّ تقع في مظنتَي الإفراط والتفريط، حيث يؤول أحدهما إلى تأكيد التفكك والانحلال أو تسويغ بعض حلقاته في الأقل، ويقود ثانيهما إلى نوع من التشدد الذي قد يولد ردود أفعال لا تحمد عواقبها، ولا تنسجم ـ ابتداءً ـ مع اليسر والسماحة اللتين جاء بهما هذا الدين وسميت شريعته بهما كذلك.

وصدق الله العظيم القائل في محكم كتابه: ﴿يُرِيدُ

ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ
عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ
عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا
عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ
ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾[1].

الموصل في
١٩٩٢/٧/٢٧م

(١) سورة النساء، الآيات: ٢٦ ـ ٢٨.

مقدمة الطبعة الثامنة

الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافىء مزيده، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اتبع هداه إلى يوم الدين.

فها هي الطبعة الثامنة من الكتاب تصدر داخل العراق، في حين أن الطبعة التاسعة منه في طريقها إلى الصدور خارجه، إذ تجاوز عدد النسخ المطبوعة من الكتاب داخل العراق الخمسة والعشرين ألف نسخة، وقد كان ذلك بتوفيق من الله ـ عزَّ وجلَّ ـ أولاً وآخراً الذي جعل أفئدة الناس تهوي إليه بلا جهد مني، ولا إعلان ودعاية من دور النشر داخل العراق وخارجه.

ولعل مما دفعني إلى إعادة طبع الكتاب هذه الأيام الحملة الجديدة التي تُشن على الحجاب في أوروبا لمنع ارتداءه في المدارس والمؤسسات الحكومية التي يقودها الرئيس الفرنسي جاك شيراك التي تذكرني بمثيلتها عام

١٩٩٠ عند صدور الطبعة الأولى والتي لاقت صدى لها في ألمانيا وبلجيكا.

وكان الرئيس الفرنسي جاك شيراك قد أبدى في خطاب له يوم الأربعاء الموافق ٢٠٠٣/١٢/١٧ أمام ٤٠٠ شخصية فرنسية سياسية ودينية بقصر الإليزيه تأييده لتوصيات لجنة (برنار ستاسي) المكلفة بمراقبة تطبيق العلمانية في فرنسا، والتي دعت إلى سرعة إصدار قانون يمنع الرموز الدينية بالمدارس والإدارات الحكومية، ومن بينها الحجاب، إذ أعدَّ الرئيس الفرنسي في خطابه: الحجاب الإسلامي مهما اختلفت مسمياته، والكيبا (القبعة اليهودية)، والصليب كبير الحجم، لا مكان لها في المحيط المدرسي. أما ما يتعلق بالرموز الخفيفة كالصليب الصغير ونجمة داود ويد فاطمة (قلادة تحوي أصابع اليد الخمسة وتلبسها المسلمات) فهي رموز مقبولة.

وقد لقيت هذه الخطوة نقوداً لاذعة للدولة الفرنسية، لما فيها من اعتداء على الحرية الدينية المقرة في كل الديانات والأعراف والقوانين، فضلاً على كونها خرقاً لمبادىء العلمانية نفسها التي تبناها الفرنسيين التي تقف من الدين موقف الحياد، فهي لا تؤيد الدين ولكنها لا تعاديه... لا تقبله ولكن لا ترفضه أيضاً. ليس لها علاقة بالدين بل تترك للناس حريتهم، وهي

لا شك تختلف عن تلك العلمانية التي رأيناها عند الماركسيين الذين يقولون: لا إلٰه، والحياة مادة، والدين أفيون الشعوب، ولا يسمحون بأي دين أو فلسفة مخالفة، ويبدو أن بعض من الفرنسيين اليوم قد تبنُّوها.

وقد تبنّى حملة النقد للحكومة الفرنسية على دعوتها هذه: علماء شريعة، ورجال دين، وسياسيون، وعلماء اجتماع، وشخصيات شتى من جميع أنحاء العالم.

وقد أعرب الداعية الإسلامية الدكتور يوسف القرضاوي عن استيائه الشديد من موقف الحكومة الفرنسية «المتشدد من الحجاب» وسعيها لإقرار تشريع يمنع المسلمات من ارتدائه بالمدارس والمؤسسات الحكومية.

وقال القرضاوي في خطبة الجمعة ٢٠٠٣/١٢/١٩ التي ألقاها بمسجد عمر بن الخطاب بالعاصمة القطرية الدوحة: لماذا تمنعون المرأة من ارتداء الحجاب؟ أليست حضارتكم تقول بحق الإنسان في أن يلبس أو يعتقد ما يشاء؟ وهل يليق أن تضغط ثورة الحرية والمساواة على المسلمات وتقرهن على فعل ما لا يرون؟

وأضاف القرضاوي: «هذا الموقف يخالف مبدأين

أساسيين من مبادىء الحرية المدنية وهما: الحرية الشخصية والحرية الدينية»، وتساءل: «لماذا تتدخلون في زي المرأة المسلمة التي تريد أن تحتشم؟ أهذه هي الحرية التي تتباهون بأنكم دعاتها؟».

وأكد القرضاوي أنه لا يجوز للمرأة المسلمة أن تترك الحجاب، لأن الله أمر به، متعجباً: «كيف تجبرون مسلمة على أن تعصي ربها وتخالف أمره؟».

وأشار الشيخ إلى أن هذا الموقف من الحجاب «مخالف لمبدأ المساواة» ووجّه حديثه للفرنسيين قائلاً: «أنتم تعطون للملاحدة واللادينيين الحق في أن يلبسوا ويفعلوا ما يشاؤون، بينما تمنعون المسلمة من ارتداء الحجاب!» وتساءل قائلاً: «أليست هذه تفرقة؟ أين التسامح الديني؟ وأين المساواة التي تزعمون أنكم أهلها؟».

وحول ما يقال عن الحجاب بأنه رمز إسلامي صحح القرضاوي هذا الخطأ الشائع وقال: «هناك خطأ شائع وهو من أكبر الأخطاء: أن يقال عن الحجاب إنه رمز ديني، وهذا عجب، فالحجاب ليس رمزاً دينياً، فلا يخطر ببال المسلمة وهي ترتدي الحجاب أن تعلن به عن إسلامها، فالحجاب ليس كالصليب أو القلنسوة اليهودية».

واستطرد القرضاوي قائلاً: «الرمز الديني هو ما ليس له وظيفة سوى الإعلان عن الانتماء لدين معين كالصليب للنصارى والقلنسوة لليهود، أما الحجاب فلا، ذلك لأن له وظيفة أساسية هي الستر، فهو يستر للمسلمة شعرها وبدنها وعنقها ونحرها» مشيراً إلى أن تسميته رمزاً لا تدل على عمق في الفكر أو الثقافة من جانب المسمى.

كما أشار إلى أن الرمز مسألة اختيارية، والإنسان حياله مخير يفعل أو لا يفعل، بينما الحجاب أمر من الله واجب التنفيذ وليس فيه خيار.

وأعرب القرضاوي عن مخاوفه من أن يكون منع الحجاب في فرنسا مقدمة لمزيد من التضييق على المسلمين في المستقبل، وقال: «اليوم يمنعون التمييز الديني في الزي، ونحن نخشى أن يأتوا غداً ويمنعون التمييز الديني في العبادات، ويقولون: لماذا يتميز المسلمون بأن لهم مساجد يصلُّون بها؟ لماذا لا يشربون الخمر؟ لماذا لا يدخنون؟ ولماذا يمتنعون في شهر رمضان عن الأكل والشرب ويخالفون الفرنسيين؟ مشيراً إلى أن هذه قضية في غاية الخطورة.

وقد وجه الداعية الإسلامي الدكتور يوسف القرضاوي رسالة إلى الرئيس الفرنسي جاك شيراك بتاريخ

٢٠٠٣/١٢/٢٣ ناشده فيها العدول عن دعم قانون يمنع الرموز الدينية في المدارس الحكومية وخاصة الحجاب، مؤكداً أن الحجاب لا يتنافى مع المبادىء العلمانية الليبرالية التي تقف موقفاً محايداً من الأديان فلا تقبلها ولا ترفضها، وجاء في الرسالة التي تحدث فيها القرضاوي باسمه وباسم المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث الذي يعد المرجعية الدينية لمسلمي أوروبا: «إنني باسمي واسم هؤلاء أعلن شديد أسفي لما قرأناه وسمعناه من توجه فرنسي لمنع الطالبات المسلمات من ارتداء الحجاب في المدارس، وهو أمر أستغربه كل الاستغراب وأنكره غاية الإنكار، فهو يجبر المسلمة أن تخالف دينها وتعصي أمر ربها».

ووصف الشيخ القرضاوي في رسالته التي تمّ تسليم نسخة مترجمة منها للغة الفرنسية إلى القنصل الفرنسي بالدوحة كي يسلمها بدوره إلى الرئيس الفرنسي: قد ساء وآلمنا أن يصدر هذا التوجه الذي لا نملك أن نصفه إلا بالتعصب ضد التعاليم الإسلامية والقيم الإسلامية، من فرنسا خاصة، بلد الحرية والانفتاح وأم الثورة التي نادت بالحرية والمساواة والإخاء، والتي فيها أكبر مجموعة إسلامية في أوروبا».

أكد القرضاوي أن هذا التوجه ينافي حريتين

أساسيتين من الحريات التي هي من حقوق الإنسان: الحرية الشخصية والحرية الدينية، وقد أكدتهما كل الدساتير ومواثيق حقوق الإنسان.

وأكد القرضاوي في رسالته إلى شيراك على رفضه أن يكون الحجاب رمزاً، قائلاً: «دعوى أن الحجاب رمز ديني دعوى مرفوضة، فالحجاب ليس رمزاً بحال، لأن الرمز ما ليس له وظيفة إلا التعبير عن الانتماء الديني لصاحبه، مثل الصليب على صدر النصراني أو النصرانية والقلنسوة الصغيرة على رأس اليهودي فلا وظيفة لهما إلا الإعلان عن الهوية».

وتابع قائلاً: «أما الحجاب فإن له وظيفة معروفة هي الستر والحشمة، ولا يخطر ببال من تلبسه من المسلمات أنها تعلن عن نفسها وعن دينها ولكنها تطيع أمر ربها».

وأشار إلى أن سن هذا القانون يعني اضطهاد المتديِّنة والتضييق عليها وحرمانها من حقوقها من التعليم أو التوظف، والتوسعة على غير المسلمة وغير المتدينة من المسلمات، وقال: «قد ساءنا كثيراً ـ فخامة الرئيس ـ اعتباركم الحجاب عدوانية على الآخرين، فأي عدوانية من فتاة تلتزم بتعاليم دينها في زيها؟ وأن العدوان لا يخشى من إنسان يعرف الله ويتّقيه رجلاً كان أم امرأة».

وأشار القرضاوي إلى أن من حق الأغلبية في المجتمع الديمقراطي أن تسن ما تراه من القوانين، ولكنه أوضح أن الديمقراطية العادلة هي التى ترعى حقوق الأقليات: دينية أو عرقية، ولا تجور عليها، وإلا حكمنا على الأقليات بالفناء باسم الديمقراطية وحكم الأغلبية.

وقد أدان اتحاد المنظمات الإسلامية في بيان وزعه المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة بالقاهرة تأييد شيراك لحظر الحجاب، ووصفه للحجاب بأنه رمز يجب إلغاؤه كالصليب الكبير والقلنسوة اليهودية.

وقال البيان: إن المسلمين في أوروبا يؤكدون أن سن قانون في فرنسا يمنع الحجاب، يمثل اعتداءً صارخاً على أمر شرعي يتعلق بحرية التدين التي كفلتها القوانين الأوروبية ومواثيق حقوق الإنسان.

وأوضح أن إصدار مثل هذا القانون فيه إكراه مسلمة على مخالفة دينها، وهو أمر لا يمكن قبوله بكل المقاييس، مؤكداً على أن مسلمي أوروبا لا يريدون أن يفرض عليهم أن يختاروا بين الالتزام بدينهم وبين الانتماء لأوطانهم الأوروبية.

وقال: إن إجبار المسلمين على التنكر لتعاليم دينهم هو إرادة لدفعهم للعزلة عن الجميع، موضحاً أن

المسلمين في أوروبا يعتقدون أن المشكلة الحقيقية هي في قراءة المسلمين لمبدأ العلمانية الذي يريد البعض أن يجعلوا منه مقيداً للحريات الدينية، ومانعاً للتعددية بشكل يجعل العلمانية محاربة للأديان.

ودعا اتحاد المنظمات الإسلامية في بيانه جميع الطوائف الدينية والهيئات الحقوقية في أوروبا إلى التصدي لهذا التوجه الفرنسي، مطالباً المسلمين بأوروبا أيضاً بالتعبير عن استنكارهم بهذا التوجه بكل الوسائل المتاحة، والعمل على إبراز حقيقة الحجاب باعتبار أنه أمر إلٰهي مباشر تشعر كل مسلمة متدينة بالاعتزاز به، وبأنها لا يحق لها مخالفته تحت أي ظرف.

وفي أول رد فعل رسمي بريطاني إزاء قرار فرنسا حظر الحجاب في المدارس الحكومية، أعلنت فيونا ماك تارجت ـ الوزيرة المسؤولة عن الشؤون العرقية بوزارة الداخلية البريطانية ـ أن بلادها لن تمنع المسلمات من ارتداء الحجاب، وهو ما رحّب به مسلمو بريطانيا الذين طالبوا الحكومة البريطانية بالعمل من خلال الاتحاد الأوروبي على منع باريس من تنفيذ قرارها.

وأشارت تارجت في بيان لوزارة الداخلية البريطانية أن هناك جدلاً كبيراً ومنذ فترة طويلة داخل مؤسسات النظام التعليمي الفرنسي وعلى المستوى الوطني بشأن

الرموز الدينية ودور العقيدة في المجتمع العلماني الفرنسي، إلا أنها أوضحت أن الأمر مختلف في بريطانيا حيث نستطيع بالتنوع الكبير لدينا والاحترام الذي يبديه أتباع كل الديانات لمن يخالفونهم في العقيدة، أن نجد في إطار ثقافتنا سبيلاً للاحتفاء بالتنوع بعيداً عن الخلاف.

وأضافت الوزيرة قائلة: إن حق المواطنة في بريطانيا ليس تحكمياً وانتقائياً، فهو يتطور باستمرار، وهو يمثل الثراء والتنوع الذي يحظى به المجتمع البريطاني، مضيفةً أن المسلمين البريطانيين أثبتوا دائماً كيف أنهم يفخرون بأنهم بريطانيون ومسلمون في نفس الوقت. ويتفاوت تقدير عدد مسلمي بريطانيا ما بين ١,٥ و ٢,٥ مليون نسمة.

وأوضحت الوزيرة البريطانية أن المرأة المسلمة في بريطانيا تستطيع ارتداء الحجاب بكل راحة، سواء في الأماكن العامة أو في المدارس، مشيرةً إلى أن هذا التنوع أمر تقدّره الحكومة، وهي تعمل من أجل ذلك على تدشين برامج للحوار بين الديانات والعقائد المختلفة في بريطانيا، وتدرك أهمية التفاهم بين كافة الثقافات داخل المجتمع، وتضمن احترام الجميع لعقائد الآخرين.

وقد شاطرت هيئة علماء المسلمين في العراق هؤلاء جميعاً الرأي فيما ذهبوا إليه، ودعت الإدارة الفرنسية إلى الاستجابة إلى هذه الأصوات، والتريث في سن هذا القانون، وإبقاء الصلة قائمة بينها وبين العالم الإسلامي، لا سيما بعد أن فقد هذا العالم ثقته تماماً بالولايات المتحدة الأمريكية لمواقفها العدوانية تجاهه والمنحازة لإسرائيل سياسةً وثقافةً. وتابعت هيئة علماء المسلمين بيانها بالقول:

وفي كل الأحوال، فليس غريباً أن تصدر هذه الخطوة من فرنسا، فهي دولةً ليست بمسلمة، ولها نظرتها الخاصة بالعلمانية التي تبنتها نظاماً يحكم مسيرتها، إنما الغريب أن ينبري شيخ الأزهر محمد سيد طنطاوي في لقائه وزير الداخلية الفرنسي بالقول: من حق فرنسا إصدار قانون يحظر الحجاب، وأن الحجاب أمر ثانوي.

وهذا على ما يبدو ـ الدعم المعنوي الذي كانت المحجبات في فرنسا ينتظرنه من شيخ الأزهر[1]!! ـ وواصلت الهيئة في بيانها القول: إن كل مُلم بمبادىء

(١) وهنا أسأل الشيخ الأزهر: لو حصل في بلد ما من بلاد المسلمين انتهاك لشعيرة من شعائر غير المسلمين ألا يوجه الاتهام إلى المسلمين بممارسة الاضطهاد الديني، وانتهاك حقوق الإنسان ويكون ذلك مبرراً لإقامة الدنيا عليهم.

الإسلام يعلم جيداً أن الحجاب فيه ليس أمراً ثانوياً بل هو فرض لا مندوحة عنه، نصّ عليه القرآن الكريم صراحة، وأكدته السنَّة النبويَّة الصحيحة وعلماء المسلمين ـ سلفاً وخلفاً ـ متفقون على ذلك.

وفي لقاء أجرته صحيفة الأسرة المسلمة التي تصدرها جمعية الأسرة المسلمة في الموصل، في عددها الخامس الصادر بتاريخ ٢٠٠٤/١/١٩ قال الشيخ ريان توفيق رئيس فرع هيئة العلماء في الموصل معلقاً على تصريحات شيخ الأزهر: لا بد أن يكون لنا كلام ينطلق من مرجعية الوحي، فليست القضية مسألة داخلية كما قال شيخ الأزهر، بل المسألة تتعلق باعتداء صارخ على ثابت من ثوابت الإسلام. فالإسلام ينظر من جهة كونه فريضة تتعبد المرأة البالغة من خلال ارتدائها الحجاب لله كتعبدها بالصلاة والحج.. ولا يوجد داخل الشريعة الإسلامية من ينظر إلى الحجاب نظراً تخالف هذا الفهم.. وأضاف قائلاً: ليست معركتنا الآن في أن نستدل لمشروعية الحجاب، بل المعركة تكمن في كيفية إدارة هذا الصراع الذي بدأ بالحجاب، وقد لا ينتهي إلا بأن يمحو الهوية الإسلامية كلها..

ودعا الشيخ ريان في نهاية اللقاء إلى الإفادة من المبادىء المعلنة في بلاد الغرب، لا سيما جانب حقوق

الإنسان، إذ إن منع الحجاب يعد خرقاً للبند الثامن عشر من الميثاق العالمي لحقوق الإنسان الذي يضمن حرية التدين والانتماء. ووجه نداءً إلى جميع الهيئات الإسلامية لكي ترفع صوتها في مختلف أنحاء العالم، مستنكرةً هذا الإجراء الاستفزازي لمشاعر المسلمين وبشتى السبل والوسائل، معللاً ضعف أداء بعض المؤسسات الرسمية الإسلامية وخفوت صوتها ومواقفها السلبية بسبب ولائها للحاكم.

هذا وقد كان الدكتور «علي جمعة» مفتي مصر، قد أكد في فتواه التي نشرت بتاريخ ٢٠٠٣/١٢/٢١ أن حجاب المرأة المسلمة فرض على كل من بلغت سن التكليف، وهي السن التي ترى فيه الأنثى الحيض، وهذا الحكم ثابت بالكتاب والسنَّة وإجماع الأمة.

وأضاف الدكتور جمعة أن «فرضية الحجاب أجمع عليها المسلمون سلفاً وخلفاً، وهو من المعلوم من الدين بالضرورة، وأنه لا يعد من قبيل العلامات التي تميز المسلمين عن غيرهم فحسب بل هو من قبيل الفرض اللازم الذي هو جزء من الدين».

واستمراراً لحالة الاستياء التي عمّت معظم أنحاء العالم الإسلامي إزاء القرار الفرنسي وتحت شعار «سيبقى الحجاب رمزاً للمرأة وطهرها» وفي ظروف

مناخية سيئة، اجتمعت أكثر من (٥٠٠) امرأة عراقية في جامع صديق رشان في حي المثنى بالموصل رافعةً عدة لافتات تندد بالموقف الفرنسي مثل «أين حرية وحقوق الإنسان يا شيراك؟ ولما تمنع المسلمات من ارتداء الحجاب؟» وأخرى مثل «لا للتطرف العلماني يا شيراك».

وقد أُلقيت في الاحتفال مجموعة من الكلمات كانت من بينها كلمة الأخت الفاضلة إيمان عبدالجبار ـ ممثلة جمعية الأسرة المسلمة بالموصل ـ أشادت فيها بالروح الإسلامية للنساء الحاضرات ومتابعتهن للأحداث في العالم، ووقفتهن مع أخواتهن المسلمات في فرنسا، وألقت باللوم في ذلك على حكام المسلمين قائلة: «العتب ليس على شيراك بل على حكام المسلمين لأنهم أكثر محاربة للمسلمين في بلادهم» على حد قولها..

وأشارت ممثلة جمعية المرأة المسلمة إلى أن «المرأة في كل الشعوب لها حق في (اختيار) ما تلبس، إلا المرأة المسلمة فقد حرمها حكام تركيا وتونس والمغرب وفرنسا حق ممارسة فريضة الله عليها وتعاليم دينها الإسلامية».

وأوضحت أن حجاب المرأة المسلمة «يعطيها الاحترام والتقدير، فهي تتعامل مع المجتمع بعقلها

وأخلاقها وليس بجسدها وأنوثتها، كما أكدت أن حجاب المرأة المسلمة استجابة لعقيدتها وليس مفروضاً عليها من أحد، كأبيها أو أخيها، بل من الله تعالى».

وأصدرت القائمات على التجمع في نهايته بياناً ختامياً أكدت من خلاله على تطبيق تعاليم الدين الحنيف من قبل المسلمات، خاصة فيما يتعلق بالحجاب، كما دعا البيان الحكومة الفرنسية وباقي الحكومات إلى إعادة النظر في قراراتها بهذا الخصوص.

أسأل الله تعالى أن يرزقنا الحرص على طاعته والاستجابة لأوامره والصدق في القول والعمل، وأملي أن لا ينساني القارىء الكريم من دعواته، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

رعد كامل الحيالي
العراق موصل ص.ب ٥٤٦
ذو القعدة ١٤٢٤هـ
كانون الثاني ٢٠٠٤هـ

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافىء مزيده... والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومَن اتبع هداه.

ما كادت الطبعة الأولى من هذا الكتاب تصل إلى السوق حتى تلقتها أيدي القراء فنفدت بالرغم من اقتصار توزيعها على مدينة الموصل لأسباب تتعلق بكلفة الطبع وطريقة التوزيع.

وهذا إن دل على شيء، فإنما يدلُّ على ظمأ ورغبة النساء المسلمات وأوليائهن إلى التعرف على أحكام دينهن، مما يجعلنا نؤمن بأن الغزو الحضاري الغربي الفكري والاجتماعي، الذي استطاع أن يهزم المرأة المسلمة في عقر دارها، ويجعلها تتحلل من لباسها الشرعي وتقاليدها الموروثة، لم ينتصر نصراً نهائياً، ولم يُفقد المرأة المسلمة عاطفتها الدينية ولا عقيدتها الإسلامية.

ولا زال في مقدرة الإسلام أن يكسب المعركة في النهاية، ببعض الجهد والتخطيط والتعاون من دعاته الغيورين عليه.

وقد أدركت المرأة المسلمة أنها الضحية، فأخذت تفكر في المصير الذي يرتقبها في الدنيا والآخرة.

ولهذا نشاهد النساء المسلمات اللاتي هداهن الله يُقبلون على الثقافة الإسلامية بشغف واهتمام، كما لاحظت من خلال الرسائل التي وردتني على أثر صدور هذا الكتاب أن المرأة المسلمة توّاقة وطموحة إلى التعرف على العديد من قضاياها المهمة.

وقد علمت أن كتابنا هذا، كان له الأثر الطيب ـ والحمد لله ـ عند الفتيات المؤمنات والزوجات المحصنات، فقد استجابت لما تضمنه من دعوات إلى الفضيلة والاحتشام الكثيرات منهن.

ولا زلنا نرى كثيراً من المتبرجات يعدن باختيارهن إلى حظيرة الالتزام بآداب الإسلام، برغم الجهود الجهيدة المبذولة من كل القوى المعادية للإسلام في الداخل والخارج.

حتى طالبات الجامعة في بلادنا نرى منهن العشرات والمئات وقد رجعن إلى دينهن وتمرّدن على

الأفكار والتقاليد الدخيلة، وأصبح لبس الخمار والثياب السابغة أمراً مألوفاً في قاعات الكليات الجامعية وساحاتها بعد أن مرت أيام كان فيها مثل هذا المنظر هو الشذوذ كل الشذوذ، وليس هذا بغريب، فكثير من النساء ـ اللائي يلبسن الملابس الغربية العصرية بما فيها من خروج على آداب الشارع ـ جد حريصات على أداء العبادات التي كُلِّفن بها من صلاة وغيرها.

ومعنى هذا أن بذور الدين في صدورهن لم تمت، وأن شيئاً من التعهد والرعاية لها والجهد المخلص النزيه خليق بأن يجعلها تنبت وتترعرع، ثم تزهر وتثمر، وتُؤتي أكلها عن قريب بإذن ربها، وتتحرر من الفصام المشؤوم في حياتها.

ومع ذلك فإن بعض أهل العلم وطلابه، لا سيما المقلدين منهم، فإنهم مع إعجابهم بالكتاب وأسلوبه العلمي، وقوة حجته، ونصاعة برهانه، لم يرقهم ما جاء في فصل حدود الحجاب هل هو عام أم هناك استثناء؟ والتزامي الحياد والاكتفاء بأسلوب عرض الأدلة دون الترجيح بالرغم من أني ذكرت على هامش١ ص٩٦ بأني أقف بين أدلة الخلاف موقف الحكَم بين الخصمين.

والحقيقة التي أود تدوينها هنا أني لا زلت عند موقفي الذي ذكرت فيه عدم أهليتي للترجيح، ولا يجوز

أن أتطاول على الأئمة الكبار وأقول نحن رجال وهم رجال بزعم أني لست مقلداً، وأن من حقي الاجتهاد، وأن باب الاجتهاد مفتوح للجميع وهذا صحيح، ولكن للاجتهاد شروطاً قد لا أملك أي واحد منها.

إضافة إلى أني مع اعتدادي برأيي الذي قد يؤاخذني البعض عليه ـ أكره الخلاف والشذوذ، وأحب السير مع الجماعة، وأنزل عن وجهة نظري التي أقتنع بها بغية الحفاظ على وحدة الأمة ـ ولكي أفوت الفرصة على أعداء الإسلام الذين يحرصون دوماً على إثارة الخلافات العلمية كتلك التي تشغل بال المسلمين وما أكثرها مثل: (هل الشك ينقض الوضوء أم لا؟ هل رؤية الله في الآخرة ممكنة أم ممتنعة؟ هل قراءة الإمام تكفي عن المصلِّين أم لا تكفي؟).

إن حكام الجور يتمنون لو غرق الجمهور في هذه القضايا فلم يخرج منها، لكنه يشعر بضرر بالغ عندما يُقال: (هل الدولة لخدمة فرد أم مبدأ؟ لماذا يكون المال دولة بين قسم من الناس؟ هل يعيش الناس ـ كما ولدوا ـ أحراراً، أم تستعبدهم سياط الفراعنة حيناً ولقمة الخبز حيناً؟)[1].

---

(١) محمد الغزالي، السنّة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث، ص١٣، دار الشروق، ط٩، ١٩٩٠.

ولكن بالرغم من ذلك كثّفت قراءاتي في هذا الموضوع وامتزجت آراء بعض العلماء[1] الذين حاورتهم أو كتبوا إلي أو سمعت صوتهم من بُعد، وتوصلت إلى ما يأتي:

إن الأحكام الشرعية الثابتة في الكتاب والسنّة لا يجوز كتمانها وطيها عن الناس بعلة فساد الزمان أو غيره أو إضفاء غطاء أو رداء شرعي له، لأن ذلك يؤدي بالبعض إلى تطويعها لتكون في خدمة الواقع أياً كان، بحيث يتم قبول كل ما هو قائم أو تبريره، ولعموم الأدلة القاضية بتحريم كتمان العلم، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾[2].

وقوله ﷺ: «مَن كتم علماً ألجمه الله يوم القيامة

(١) لقد اطلع على كتابي هذا أساتذة كراماً، عرفت فيهم سداد الرأي والجرأة في الحق، وأخص بالذكر منهم فضيلة الشيخ ذنون البدراني، والدكتور إدريس الحاج داود، والدكتور خير الدين شريف العمري، فتفضلوا بتصويبات وملاحظات وتعليقات استرشدت بها وأفدت، وبحسبها أجريت ما أجريت من تعديل في عباراتي، ولكن المسؤولية تبقى بحذافيرها مسؤوليتي، والتبعية على عاتقي وحدي، وأساتذتي براء ولهم مني الشكر العميم.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٥٩.

بلجام من نار»[1]، فإذا كان القول بأن وجه المرأة ليس بعورة حكماً (ثابتاً) في الشرع كما نعتقد، فكيف يجوز القول بكتمانه وترك تعريف الناس به؟

ولقد بيّنا لدى عرضنا لأدلة الفريق الثاني قسماً من الأحاديث الشريفة التي تؤيد ما ذهبنا إليه، وسنعيد النظر في كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ لنستجلي أطراف الموضوع لاستكمال دراسته من جوانبه المتعددة دراسة علمية موضوعية من منطلق إسلامي أصيل لا يُخرجه الغضب من الحق ولا يُدخله الرضا في باطل فكان ما يأتي:

قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ﴾[2].

وجه الدلالة من قوله تعالى: إن في المرأة شيئاً (مكشوفاً) يمكن النظر إليه، فإذا كانت الوجوه مغطاة فمم يغض المؤمنون أبصارهم؟

الغض يكون عند مطالعة الوجوه بداهة، وربما رأى الرجل ما يستحسنه من المرأة، فعليه ألا يعاود النظر كما جاء في الحديث: قال رسول الله ﷺ

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه هو والذهبي.

(٢) سورة النور، الآية: ٣٠.

لعلي رضي الله عنه: «**يا علي لا تُتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى وليست لك الآخرة**»[1].

وعن جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن نظرة الفجأة فقال: «**اصرف بصرك**»[2].

وجه الدلالة من الحديث أنه ما دام الإنسان فاتحاً عينيه، فلا بد أن يقع بصره على كل ما حوله من الأشياء والأشخاص، وليس في الإمكان أن لا يرى الرجل امرأة أبداً، ولا ترى المرأة رجلاً بحال، فمراد الشارع في مثل هذا النظر: (أنه إن وقع فجأة فلا إثم فيه وإنما المحظور أن يعيد نظره إلى حيث يستأنس الزينة والجمال، ويجعله مرمى عينيه)[3].

وقد رأى النبيّ ﷺ من تستثار رغبته عند النظر المفاجيء، فالواجب على المتزوج أن يستغني بما عنده، كما روى جابر عن النبيّ ﷺ: «**إذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله** ـ أي ليذهب إلى زوجته ـ **فإن ذلك يرد ما في نفسه**»[4]. فإن لم يكن له زوجة فليعِ قوله

---

(١) رواه أبو داود.

(٢) رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي.

(٣) المودودي، الحجاب، ص٣٨٧.

(٤) رواه أبو داود.

تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[1].

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾، إلى قوله تعالى: ﴿لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ﴾[2].

وجه الدلالة من قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ﴾ إنها تدل على حرمة إبداء الزينة الباطنة للمرأة وجواز إبداء الزينة الظاهرة، ويقولون: إن الوجه واليدين من الزينة الظاهرة.

ويدل قوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ﴾ على وجوب غطاء الرأس والعنق والصدر، لأن الخمر، جمع خمار، وهو ما يغطى به الرأس، والجيوب جمع الجيب، وهو موضع القطع من الدرع والقميص، وهو من الجوب، وهو من القطع، فأمر الله تعالى بلَيّ الخمار على العنق والصدر، فدل على وجوب سترهما، ولم يأمر بلبسه على الوجه، فإذا كان المراد إسدال الخمار على الوجه لقال: ليضربن بخمرهن على وجوههن ما دامت تغطية الوجه هي شعار المجتمع

---

(١) سورة النور، الآية: ٣٣.

(٢) سورة النور، الآية: ٣١.

الإسلامي، فدل ذلك على أن الوجه ليس بعورة، ويحرم إظهار غيره كالرجلين والساقين، لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾.

جاءت إلى النبيّ ﷺ امرأة يقال لها (أم خلاد) وهي منتقبة، تسأل عن ابنها الذي قُتل في إحدى الغزوات، فقال بعض أصحاب النبيّ ﷺ: جئتِ تسألين عن ابنك وأنت منتقبة؟ فقالت المرأة الصالحة: «إن أرزأ ابني فلم أرزأ حيائي»[١].

فاستغراب الصحابة لتنقب المرأة دليل على أن النقاب لم يكن عبادة، وفيه دليل على أن التنقيب لم يكن شأن النساء كافة، وإنما كان بعضهن يفعله وهن قلة بدليل استغراب الصحابة.

إن الإسلام أوجب كشف الوجه في الإحرام للحج والعمرة، ودليل ذلك نهي رسول الله ﷺ أن تلبس النساء المحرمات النقاب والقفازين، لما ورد عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنه قال: «لا تنتقب المرأة المحرمة ولا تلبس القفازين»[٢]. ولما ورد عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لا تلثم المرأة، ولا تتبرقع، ولا

---

(١) رواه أبو داود.

(٢) (٣) رواه الإمام مالك في الموطأ.

تلبس ثوباً بورس[1] وزعفران»[2].

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: «كان الركبان يمرون ونحن محرمات مع الرسول ﷺ، فإذا حاذونا سدلت إحدانا جلبابها على وجهها من رأسها، فإذا جاوزونا كشفناه»[3].

قال بعض الناس: إن الأمر بكشف الوجه في الحج يعني أن الوجه يجب ستره فيما وراء ذلك، كما ذكرت في ص٨٧.

ونقول: هل إذا أمر الله الحجاج بتعرية رؤوسهن في الإحرام كان ذلك يفيد أن الرؤوس تغطى وجوباً في غير الإحرام؟ مَن قال ذلك؟ من شاء غطّى رأسه ومن شاء كشفه.

وجه الدلالة من هذه الأحاديث أنها تدل على أن المرأة المحرمة لا تغطي وجهها وكَفَّيْها، وما هذا إلا لأنها ليست بعورة وإلا وجب سترهما في الإحرام للحج والعمرة.

---

(١) الورس: نبت أصفر يكون في اليمن، يتخذ منه الغمرة للوجه، الصحاح تاج اللغة.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه أحمد وابن ماجه وأبو داود.

ومن الفتاوى السديدة ما أفتى به ابن عقيل الفقيه الحنبلي رداً على سؤال وُجِّه إليه عن كشف المرأة وجهها في الإحرام ـ مع كثرة الفساد اليوم ـ أهو أولى أم التغطية؟ فأجاب بأن الكشف شعار إحرامها ورفع حكم ثبت شرعاً بحوادث البدع لا يجوز لأنه يكون بنسخ الحوادث، ويقضي إلى رفع الشرع رأساً، وليس ببدع أن يأمرها الشرع بالكشف، ويأمر الرجل بالغض ليكون أعظم للابتلاء، كما قرب الصيد إلى الأيدي في الإحرام ونهى عنه[1]. وكذلك أباح الشرع للمرأة أن تكشف عن وجهها وكفَّيْها أثناء أدائها للصلوات كلها، ودليل هذا قول الرسول ﷺ: **«لا يقبل الله صلاة حائض إلا بخمار»**[2].

وجه الدلالة من هذا الحديث أن الله علّق قبول صلاة الحائض بالخمار، وهو دليل على وجوبه، إذ لو لم يكن كذلك لما علق ذلك على الخمار، والخمار هو ما يغطي الرأس كما تقدم.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يصلي الفجر فيشهد معه نساء من

---

(١) ابن القيم، بدائع الفوائد.

(٢) أخرجه أبو داود والترمذي وأحمد وغيرهم. والمراد بالحائض المرأة البالغة.

المؤمنات متلفعات بمروطهن ثم ينقلبن إلى بيوتهن حتى يقضين الصلاة لا يعرفن من الغلس[1]»[2].

فقول عائشة رضي الله عنها: «لا يعرفن من الغلس» دليل على أن النساء المسلمات كن ينقلبن إلى بيوتهن حتى يقضين صلاة الفجر مع رسول الله ﷺ وهن كاشفات الوجوه، لكن ظلمة آخر الليل حالت دون معرفة ذلك.

وهكذا يتبين لنا أن الإسلام أوجب كشف الوجه في الحج وألفه في الصلوات كلها، أفكان بهذا الكشف في ركنين من أركانه يثير الغرائز ويمهد للجريمة؟

وهل من الأدب مع الله سبحانه وتعالى أن تكشف المرأة عن عورتها وهي في لحظة اتصال معه أثناء أدائها لهذه العبادات وتسترها في ما وراء ذلك؟

قال القرطبي: (لما كان من الوجه والكفين ظهورهما عادة وعبادة وذلك في الصلاة والحج، فيصلح أن يكون الاستثناء راجعاً إليها ولمراعاة فساد الزمن، فلا

---

(١) الغلس: هو ظلمة آخر الليل، الصحاح تاج اللغة ٩٥٦/٣، تعني أنه لولا غبش الفجر لعرفن لانكشاف وجوههن.

(٢) أخرجه الشيخان وغيرهما.

تبدي المرأة من زينتها إلا ما ظهر منها وهو وجهها وكفًّاها)[1].

أباح الشرع لمن عقد العزم والنية على خطبة امرأة أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها، ولا شك بأن الخاطب إنما ينظر إلى الوجه لأنه المقصود بالذات لمريد الجمال، والكفَّين لأنه تعرف بهما خصوبة البدن أو ضدها، وما وراءهما ممنوع لأنه فوق الحاجة، وإذا لم يمكنه النظر إليها استحب أن يبعث امرأة يثق بها تنظر إليها وتخبره بصفاتها.

والإسلام يهتم بهذا الاعتبار الجنسي - أي نظرة كل من الجنسين للآخر اهتماماً بالغاً - وقد أوصى نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام - أحد أصحابه - بالنظر إلى مخطوبته، وعلّل ذلك بأنه أحرى أن يوفق بينهما بعد الزفاف «**أنظر إليها فذلك أحرى أن يؤدم بينكما**»[2] فيستطيع أن يراها دون أن يعلمها حتى لا يجرح شعورها وحتى لا يؤذي إحساسها، فبعض الناس يستهترون بذلك، وقد سمعت من بعضهم أنه رأى أكثر من عشرين فتاة ولم تعجبه واحدة منهن حتى تزوج، معنى

---

(١) تفسير القرطبي، ج١٢/٢٢٩.

(٢) رواه الترمذي والنسائي.

ذلك أنه جرح إحساس أكثر من عشرين فتاة من فتيات المسلمين، فالأَوْلى أن يراها وهي خارجة أو في بيت قريب لها ودون أن تعلم مَن هذا ولا ما هذا.

ولقد جاء عن جابر رضي الله عنه أنه قال في امرأته بعد أن تزوجها: «لقد كنت أتخبأ لها تحت شجرة حتى رأيت منها ما دعاني إلى زواجها»[1]، كان يتخبأ لها تحت شجرة دون أن تعلم، دون أن ترى.

ولا يحتج بأن هذه الأحاديث رخصة للرجل في النظر إلى من يريد خطبتها، فكيف تعلم قاصدة الطريق بأن هناك من يريد خطبتها لتكشف له عن وجهها وكفَّيْها.

عن سهل بن سعد أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، جئت لأهب لك نفسي، فنظر إليها رسول الله ﷺ، فصعد النظر إليها وصوبه، ثم طأطأ رأسه، فلما رأت المرأة أنه لم يقصد فيها شيئاً جلست[2]، وفي رواية أخرى أن أحد الصحابة خطبها ولم يكن معه مهر، فقال له النبيّ ﷺ: «**التمس خاتماً من حديد**» وانتهت القصة بزواجه منها.

---

(١) رواه أحمد.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم والنسائي والبيهقي.

والسؤال: فيمَ صعد النظر وصوبه إن كانت منقبة؟

وجه الدلالة من الحديث أنه يدل بمنطوقه على جواز إظهار وجه المرأة وإلا لما جاز كشفه إلى رسول الله ﷺ ولما جاز له النظر إليها.

عن ابن عباس رضي الله عنه: «إن امرأة أتت النبيّ ﷺ تبايعه ولم تكن مختضبة، فلم يبايعها حتى اختضبت[1]»[2].

وعن سبيع بن الحارث: أنها كانت تحت سعد بن خولة، فتوفي عنها في حجة الوداع، وكان بدرياً، فوضعت حملها قبل أن ينقضي أربعة أشهر وعشر من وفاته، فلقيها أبو السنابل بن بعكك حين تعلت[3] من نفاسها وقد اكتحلت واختضبت وتهيأت، فقال لها: اربعي[4] على نفسك - أو نحو هذا - لعلكِ تريدين النكاح، إنها أربعة أشهر وعشر من وفاة زوجك، قالت:

---

(١) اختضبت أي تحنّت، والخضاب ما ستختضب به، وقد خضب الشيء أخضبه خضباً، واختضبت بالحناء ونحوه، الصحاح تاج اللغة ١/١٢١، القاموس المحيط ١/٦٢٠.

(٢) حديث حسن أخرجه أبو داود والبيهقي.

(٣) تعلت أي خرجت من نفاسها، القاموس المحيط ٤/٢٠.

(٤) اربعي، بهمزة وصل وبفتح الباء، أي: انتظري واسكتي، أساس البلاغة للزمخشري ٣١٧.

فأتيت النبيّ ﷺ فذكرت له ما قال أبو السنابل بن بعكك، فقال: **«قد حللت حيث وضعت»**[1].

كانت المرأة مكحولة العين مخضوبة الكف، وأبو السنابل ليس من محارمها الذين يطلعون بحكم القرابة على زينتها، وقد وقع ذلك بعد حجة الوداع، فلا مكان لنسخ حكم أو إلغاء تشريع.

وجه الدلالة من هذين الحديثين أنهما يدلان على جواز كشف وجه المرأة وكفَّيْها، وهما يؤيدان الأحاديث التي تدل على ذلك تصريحاً.

وهكذا يتبين لنا بعد هذا السرد لمجموع الأدلة التي ذكرناها أن القول بأن وجه المرأة وكفَّيْها ليسا بعورة حكم ثابت في الشرع تدعمه أحاديث صحيحة عرضنا جانباً منها، وهنالك الكثير من الأدلة التي لا يتسع المقام لذكرها، إلا أن ذلك لا يمنعنا أن نلفت نظر النساء المؤمنات إلى أن كشف الوجه وإن كان جائزاً فستره أفضل، وقد بيّنا ذلك في الكتاب في ص٨٤ وما بعدها، ولدى استعراضنا لرأي أئمة المذاهب الأربعة ص٩٠ وما بعدها.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد من طريقين أحدهما صحيح والآخر حسن، وأصله في الصحيحين وغيرهما في روايتهما (تجمّلت للخطاب).

وبعد ذلك أدّينا الأمانة إن شاء الله، فبيَّنا على ما يجب على المرأة وما يحسن بها، فمن التزم الواجب فبها ونعمت، ومن أخذ بالأحسن فهو الأفضل.

(إن جمًّا غفيراً من العلماء المرموقين، ذهبوا إلى أن الوجه والكفين عورة يجب سترها، واستدلوا بنصوص من القرآن والحديث والآثار، وأخذ بقولهم كثيرون من علماء هذا العصر وخصوصاً في باكستان والهند وأقطار الخليج، وأرسلوا نداءاتهم إلى كل فتاة تؤمن بالله وباليوم الآخر أن تلبس النقاب ليستر وجهها، والقفاز ليستر يديها، فهل تدمغ بالتطرف فتاة أو سيدة آمنت بهذا المذهب واعتبرته جزءاً من دينها؟ أو يدمغ به رجل دعا إلى ذلك ابنته أو زوجته فاستجابت؟ وهل يحق لنا أن نجبر هذا أو ذاك أو تلك على التنازل عما يعتقده شرع الله ونلزمه أن يبيع الجنة ويشتري النار إرضاءً لخاطرنا وفراراً من تهمة التطرف؟)[1].

(إنه ليس من الإنصاف أن نتهم إنساناً بالتطرف في دينه لمجرد أنه اختار رأياً من الآراء الفقهية المتشددة ما دام يعتقد أنه الأكثر صواباً والأرجح، ويرى أنه ملزم به

---

(١) د. يوسف القرضاوي، الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، ص٣٧ بتصرف.

شرعاً ومحاسب عليه ديناً، وإن كان غيره يرى رأيه مرجوحاً أو ضعيفاً، لأنه ليس مسؤولاً عما يراه ويعتقده هو، وإن شدّد بذلك على نفسه، بل حسبه أن يرى ذلك هو الأفضل والأورع، وأن يكون فرضاً أو واجباً إذا كانت همته لا تقف عند حد الفرائض وإنما يتقرب إلى الله تعالى بالنوافل حتى يحبه.

ومن حقائق الحياة أن الناس يتفاوتون في هذه القضية، فمنهم المتساهل الميسر ومنهم المتشدد المعسر، وقد كان في الصحابة المترخص كابن عباس، والمتشدد كابن عمر رضي الله عنه.

ويكفي المسلم في هذا المقام أن يستند رأيه الذي تبناه إلى مذهب من المذاهب المعتبرة عند المسلمين أو يعتمد على اجتهاد صحيح قائم على استدلال شرعي سليم، فإذا كان من أئمة المذاهب المتبوعة من يقول بوجوب إعفاء اللحية وتركها وحرمة حلقها، فهل يوصف بالتطرف من اقتنع بهذا المذهب وأخذ به وطبّقه على نفسه لأنه خالف رأيي ورأيك ورأي زيد وعمر من العلماء ولا سيما المعاصرين؟ وهل من حقنا أن نصادر حق امرىء في ترجيح رأي على آخر وبخاصة إذا كان متصلاً بحياته وسلوكه؟)[1].

---

(١) المصدر السابق، ص٣٧.

وهل من الإنصاف أن ننكر على الفتاة التي تلبس النقاب على وجهها، ونسخر منها ومن زيها وهي لم تفعل ذلك إلا إرضاءً (لربها) واتباعاً لدينها حسبما فهمت أو أفهمت؟ على حين نرى الصنف الآخر من الفتيات مميلات مائلات كاسيات عاريات، بل عاريات غير كاسيات في الشوارع وعلى الشواطىء أو في الأفلام والمسلسلات، ولا يحرك أحد ساكناً، ولا ينبس ببنت شفة، لأن هذا من (الحرية الشخصية) التي كلّفها الدستور، فهل حفظ الدستور الحرية الشخصية في جانب العرى والابتذال، وصادرها في جانب التصوُّن والاحتشام[1]؟

وهذا يستفاد مما ذكرناه أن ستر المرأة لوجهها ببرقع أو نحوه مما هو معروف اليوم عند النساء المحصنات أمر مشروع محمود، وإن كان لا يجب عليها، بل من فعل ذلك فقد أحسن وإلا فلا حرج.

وحقيقة الأمر عندي أنه وإن كان قلبي ليكاد يتفطر أسًى وحزناً من هذا السفور المزري والتبرج المخزي الذي تهافتت عليه النساء في هذا العصر تهافت الفراش على النار، فإنني لا أرى أبداً معالجة ذلك بتحريم ما

(١) نفس المصدر، ص١٤٠.

أباح الله لهن من الكشف عن الوجه وإن توجب عليهن ستره بدون أمر من الله ورسوله[1]، بل إن حكمة التشريع والتدرج فيه وبعض أصوله منها قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[2]، وقوله جلّ شأنه: ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾[3] وقوله سبحانه: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾[4].

ومن الأحاديث النبويّة قوله عليه الصلاة والسلام: **«يسّروا ولا تعسّروا وبشّروا ولا تنفّروا»**[5]، وفي نهيه عن التشدد قال عليه أفضل الصلاة والسلام: **«إياكم والغلو في الدين، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين»**[6]. وعندما أطال معاذ بن جبل القراءة وهو يؤم الناس أثناء الصلاة، عاتبه النبيّ عليه الصلاة والسلام

---

(١) الألباني، حجاب المرأة المسلمة، ص٦، ٧، انظر، ص٣٦ التي يرد فيها المؤلف على من زعم أن الستر بدعة وتنطع في الدين بأحاديث وآثار كبيرة، ط٤، المكتب الإسلامي ببيروت.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٢٨.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٦.

(٥) أخرجه الشيخان.

(٦) رواه الإمام أحمد في مسنده، والنسائي وابن ماجه في سننهما، والحاكم في مستدركه.

قائلاً: «**أفتان أنت يا معاذ؟**» وكرّرها ثلاث، مما يوحي بأنه مثل ذلك التشدد على الناس وأخذهم بالعزائم يفتح باب الفتنة عليهم، ثم قال عليه الصلاة والسلام: «**إن منكم منفرين، فأيكم ما صلّى بالناس فليتجوز فإن فيه الضعيف والكبير وذا الحاجة**»(١).

وروي عن النبيّ ﷺ قوله أيضاً: «**عليكم من الأعمال ما تطيقونه، فإن الله لا يمل حتى تملوا**»(٢)، وقوله: «**هذا الدين متين، فأوغلوا فيه برفق، ولا تبغضوا إلى أنفسكم فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى**»(٣).

كل ذلك يوجب على فقهاء الأمة ومربّيها ومرشدها أن يتلطفوا بالناس بالرفق لا بالشدة، ولئن كان التيسير مطلوباً «في كل زمن، فإنه في زماننا ألزم وأكثر تطلباً» نظراً لما نراه ونلمسه من رقة الدين، وضعف اليقين، وغلبة الحياة المادية على الناس، وعموم البلوى بكثير من المنكرات حتى أصبحت كأنها القاعدة في الحياة، وما عداها هو الشاذ، وأصبح القابض على دينه

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه الشيخان وأبو داود.

(٣) رواه البزاز بإسناد ضعيف، يريد بالمنبت الذي انقطع عنه رفقته بعد أن أجهد دابته.

كالقابض على الجمر، وكل هذا التسهيل والتيسير، ولهذا قرر الفقهاء: (إن المشقة تجلب التيسير، وإن الأمر إذا ضاق اتسع، وإن عموم البلوى من موجبات التخفيف)[1]، فمن الحكمة ورجاحة العقل أن يقنع العلماء في هذا العصر بأن تستجيب النساء لما أمر الله به من حجب البدن كله حاشا الوجه والكفين، فمن حجب ذلك أيضاً منهن فذلك ما نستحبه لهن وندعو إليه كما قلنا آنفاً.

إن بعض العلماء اليوم يرون أن في كشف المرأة عن وجهها مع سترها إلى ما سواه من بدنها مما أمر الله به خطر عليها ـ زعموا ـ فنرى أنه لا يليق بهم أن يكتفوا من المسألة بإظهار الإنكار الشديد على من يخالفهم في الرأي، بل عليهم أمرين اثنين لا بد من القيام بهما:

الأول: أن يبين للناس حكم الله فيها، مستدلين عليه بالكتاب والسنَّة، لا تقليداً للمذهب أو اتباعاً للأعراف والتقاليد، وبذلك فقط يظهر للناس الصواب من الخطأ، بل الحق من الباطل ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾[2]. إنهم إن فعلوا

---

(١) الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، ص٢١٢.

(٢) سورة الرعد، الآية: ١٧.

ذلك استجاب لهم النساء المؤمنات، فهل يفعلون؟

الثاني: أن يعنوا بترتبية الفتيات التربية الإسلامية الصحيحة، ويرسخوا في نفوسهن أن ما رسمه الشرع لهن من زي هو ما يتفق مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وأي خروج على هذا الزي يكون بمثابة الخروج على نواميس الفطرة.

ولتعلم النساء المؤمنات أن زينة المرأة المسلمة وجمالها الحقيقي إنما يكمن في اللباس الشرعي الذي منحه إياها الإسلام، لأنها به تستطيع أن تحفظ عفّتها وكرامتها وأنوثتها.

ولهذا يجب عليها أن تحرص عليه حرصها على نفسها، وإن التفريط فيه يعني التفريط بنفسها وعرضها وشرفها وأنوثتها.

ولتعرف المرأة المؤمنة أنه يجب أن يدل مظهرها على طهارتها ونقاوتها، وأنه يجب أن تكون قوية الإيمان بملابسها كما هو الشأن في أقوالها وأعمالها، بل يجب أن تكون مرآة تعكس كل تصرفاتها فتبين أنها من الذين أنعم الله عليهم باتباع أوامر الله، فتكون قدوة صالحة تكسب احترام وثقة المؤمنين.

ولتعلم المرأة المؤمنة أن الجمال ليس بالمظاهر

الخدّاعة التي لا تتم إلا عن نفس شريرة، ولكن الجمال بالستر والعفاف والأدب الإسلامي، لأن التبرج لا يؤدي إلى خير وإنما إلى خلاعة وشر.

إن العناية بهن تتم من خلال المدارس والمساجد والجامعات لتعليمهن وتثقيفهن الثقافة الشرعية النافعة، ومنع المجلات الساقطة أن تتسرب إليهن وتفسد عليهن أخلاقهن، ونحو ذلك من الوسائل المبذولة في العصر الحاضر، والتي في مقدمتها وأخطرها وسائل الإعلام التي بإمكانها أن تكون وسائل بناء وإصلاح لا وسائل هدم وتخريب، وما أعظم ما تؤديه وسائل الإعلام لو عرف القائمون عليها الله وعملوا بما يرضيه، وما أخطر ما تؤديه عندما يغضون أعينهم عما يرضي الله ورسوله(١).

بمثل هذا وذلك يمكن أن يوجد جيل من النساء المؤمنات اللائي إذا سمعن مثل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ﴾(٢) بادرن إلى امتثال أمره كما فعلت نساء

---

(١) انظر الدكتور محمد حسن أبو يحيى، أهم قضايا المرأة المسلمة، ص١٠٦، دار الفرقان، عمان ـ الأردن، ط١٩٨٧/٢، الألباني، حجاب المرأة المسلمة، ص٨ ـ ٩.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٥٩.

الأنصار رضي الله عنهن حين نزل قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾[1] بادرن فاختمرن بما تيسر لهن.

ويوم تستجيب النساء المسلمات لأمر الله ويلزمن حدوده يعود إلى المسلمين عزهم ومجدهم وعسى أن يكون ذلك قريباً إن شاء الله. وإلى الله نرغب أن يجعل بحثنا سبباً في غفرانه ورضوانه وفاتحاً لخزائن إحسانه وامتنانه وإنه ذو فضل عظيم.

اللَّهم إنا نسألك أن تجعلنا من ورثة جنة النعيم، وأن تجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن توفقنا دائماً في القيام بواجب المسؤولية والأمانة تجاه من له علينا حق التربية والرعاية لنلقاك يوم القيامة وأنت عنا راضٍ في مجتمع من النبيّين والصدِّيقيين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

.. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..

رعد كامل الحيالي
العراق الموصل
ص.ب ٥٤٦

(١) سورة النور، الآية: ٣١.

معنى الحجاب

﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾[1]، الحجاب الجمع حجب معناه الساتر (ومدلول لفظ الحجاب أوسع من هذا المعنى إذ يطلق ويراد به الساتر والمانع، ومنه سمي حاجب العين حاجباً لأنه يمنع العين من أغلب الإصابات، وسمي حارس السلطان حاجباً لأنه يمنع من الدخول عليه إلا بإذنه خشية الأذية تصيبه، وحاجب الشمس هو ما يبدو عن طلوعها وغروبها من قوسٍ منحنٍ كحاجب عين الإنسان، وبعض العوام يطلقون لفظ الحجاب على الحرز يكتب للمنع من العين أو الجان وهو اعتقاد باطل وعمل مزور)[2].

أما الخمار في قوله: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٣.

(٢) أبو بكر الجزائري، فصل الخطاب في المرأة والحجاب، ص٣٣.

﴿جُيُوبِهِنَّ﴾[1]، فقال ابن كثير: الخمر جمع خمار، وهو ما يخمر، أي يغطى به الرأس، وهي التي تسميها الناس (المقانع) وفي لسان العرب: الخمر جمع خمار وهو ما تغطي به المرأة رأسها، وكل مغطى مخمر، ومنه حديث: «**خمّروا آنيتكم**» أي غطوها، وخمّرت المرأة رأسها: غطّته[2].

جيوبهن: يعني النحور والصدور، فالمراد بضرب النساء بخمرهن على جيوبهن أن يغطين رؤوسهن وأعناقهن وصدورهن بكل ما فيها من زينة وحلي.

والجيوب: جمع جيب، وهو الصدر، وأصله الفتحة التي تكون في طوق القميص، وهو من (الجوب) بمعنى القطع، وقد ترجم البخاري رحمه الله (باب جيب القميص من عند الصدر وغيره)[3] والمراد بالآية كما رواه ابن أبي حاتم: أمرهن الله بستر نحورهن وصدورهن بخمرهن لئلا يرى منها شيء[4].

أما معنى جلابيبهن في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ

(١) سورة النور، الآية: ٣٣.
(٢) لسان العرب لابن منظور.
(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٢، ص٢٣٠.
(٤) الألوسي، روح المعاني، ج١٨، ص١٤٢.

﴿قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾[١] جمع جلباب وهو الثوب الذي يستر جمع البدن، قال الشهاب: هو إزار يلتحف به، وقيل: هو الملحفة وكل ما يغطي سائر البدن، قال في لسان العرب: الجلباب ثوب أوسع من الخمار، دون الرداء، تغطي به المرأة رأسها وصدرها، وقيل: هو الملحفة، قالت امرأة من هذيل ترثي قتيلاً لها:

تمشي النسور إليه وهي لاهية
مشي العذارى عليهن الجلابيب[٢]

وقيل: جلباب المرأة ملاءتها التي تشتمل بها، واحدها جلباب، والجماعة جلابيب، وأنشدوا:

مجلبب من سواد الليل جلبابا[٣]

وفي الجلالين: الجلابيب جمع جلباب، وهي الملاءة التي تشتمل بها المرأة.

والخلاصة: فإن الجلباب هو الذي يستر جميع

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٩.
(٢) لسان العرب لابن منظور.
(٣) حاشية الجمل على الجلالين.

بدن المرأة، وهو يشبه الملاءة (الملحفة) المعروفة في زماننا، نسأل الله الستر والسلامة[1].

وهكذا نستطيع القول في تعريف الحجاب الإسلامي بأنه احتشام المرأة نفسها بغض البصر أولاً، وسترها بالملاءة أو الجلباب الواسع فوق الملابس العادية لإخفاء معالم جسمها ثانياً، فتكون بمنأى عن الريبة وأقاويل السوء، فتزداد مهابةً في العيون وتوقيراً في القلوب.

(١) انظر الصابوني، روائع البيان، تفسير آيات الأحكام من القرآن، ص٣٧٤ ـ ٣٧٥.

مشروعية الحجاب

لما كانت فاحشة الزنا من أخطر الفواحش وأكثرها ضرراً بالهيئة الاجتماعية وأكبرها تلويثاً للروح الإنسانية وأعظمها إفساداً للأعراض والأحوال والأبدان، حرّمها الشارع تحريماً قاطعاً لا مجال للشك فيه أو الارتياب، إذ نصوص تحريمها واضحة لا تحتمل غير التحريم التام، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾[1] فالزنا من أعظم المفاسد التي تهدد المجتمع وتنذره بالويل والثبور، وذلك للأسباب الآتية[2]:

١ ـ إن الزنا إذا تفشّى واستبيح يؤدي إلى زوال النكاح الشرعي القائم على شروط ومسؤوليات وحقوق وواجبات والاكتفاء بالزنا وحده بدلاً منه.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٣٢.

(٢) عبدالله الجار الله: مسؤولية المرأة المسلمة، مطابع الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، ص٣٨ ـ ٤١.

٢ ـ الزنا يهدّد النسل البشري والنوع الإنساني بالفناء، لأن الزاني والزانية لا يقصدان التناسل بل يقصدان إطفاء الشهوة وإرواء الغريزة فقط.

٣ ـ الزنا يعرّض المجتمع للإصابة بالأمراض التناسلية القاتلة.

٤ ـ الزنا يقطع الأرحام ويضيّع الأنساب ويفكك الروابط بين أفراد المجتمع.

٥ ـ الزنا يسيء الخلق ويعم الوقاحة والسفاهة والغدر والخيانة والمكر والخديعة ويقود للخضوع لسلطان الشهوة والغريزة، فالزاني حين يرى فتاة تعجبه يحاول الوصول إليها بكل وسيلة، وبهذا تنتهك الأعراض وتهدر الحرمات وتقع العداوات وتسفك الدماء ويفقد الأمن في المجتمع وتنعدم السعادة في الحياة.

٦ ـ الزنا عار يكسو مرتكبه سواد الوجه ورداء الذل بين الناس.

٧ ـ الزنا يشتّت القلب في عشق النساء ويمرضه في الشوق إليهن ويجلب عليه الهم والحزن، ويسبب الخيانة ويهدد إيمان المؤمن بسبب الغفلة عن الله وأحكامه، ويحرمه طمأنينة الإيمان، لأنه إثم كبير وذنب عظيم، ولقد بيّن النبيّ ﷺ أن الإيمان يرتفع عن

المتزانين أثناء الزنا حين قال: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**»[1].

٨ ـ من أضرار الزنا ذهاب حرمة فاعله وسقوطه من عين ربه ومن أعين عباده.

٩ ـ إن الزنا يجرؤه على عقوق الوالدين وقطيعة الأرحام وكسب الحرام وظلم الخلق وإضاعة أهله وعياله.

١٠ ـ إن هذه المعصية محفوفة بالمعاصي فهي لا تتم إلا بأنواع المعاصي قبلها وبعدها ومعها، فهي تجلب شرور الدنيا والآخرة.

وتمشياً مع رسالة الإسلام التي تهدف إلى سلامة المجتمع من شيوعية الجنس وفوضاه التي تتخبط فيه المجتمعات البدائية والصناعية المعاصرة، لذا توخي الإسلام من قواعده وأسسه التشريعية المعنية بمعالجة مشكلة الجنس أن يحلها من أساسها، فلم يعمد إلى تحريم الزنا وإنزال مقترفيه عقوبة الرجم أو الجلد من جهة ليرخي العنان لتبرج المرأة وإباء زينتها وعرض مفاتنها وسيرها في الطرقات دون قيد أو ضابط أو شرط من جهة أخرى.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

ولذلك وضع الإسلام لمشكلة الجنس حلولاً منها:

أولاً: أمر الإسلام الرجل والمرأة بغض البصر عن النظر إلى الأجانب الذين يحل بينهم الزواج شرعاً، واقتصر جواز النظر على المحارم فيما بينهم فقط، فقال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾[١].

وحين سأل جرير بن عبدالله رضي الله عنه رسول الله ﷺ عن نظرة الفجاءة قال: «**اصرف بصرك**»[٢]، «فإن النظر بريد الزنا ورائد الفجور والبلوى فيه أشد وأكثر، ولا يكاد يقدر على الاحتراس منه»[٣].

قال رسول الله ﷺ: «**العين تزني وزناها النظر**»[٤]، وقال أيضاً: «**كل عين باكية يوم القيامة إلا عيناً غضت عن محارم الله، وعيناً سهرت في سبيل الله، وعيناً يخرج منها رأس الذباب من خشية الله عزَّ وجلَّ**»[٥].

---

(١) سورة النور، الآيتان: ٣٠، ٣١.

(٢) رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي.

(٣) راجع الزمخشري، الكشاف ٦١/٣.

(٤) جزء من حديث رواه البخاري ومسلم وأبو داود.

(٥) أخرجه أحمد وأصحاب السنن.

وغض البصر من أقوى عوامل المناعة ضد الفساد، حيث يقول تبارك وتعالى في الحديث القدسي: **«النظرة سهم مسموم من سهام إبليس من تركها مخافتي أبدلته إيماناً يجد حلاوته في قلبه»**[1].

فالشهوة لا تصحو إلا إذا أيقظتها ولا تنتبه إلا إذا دعيتها.

وما أروع قول الشاعر:

كل الحوادث مبداها من النظر
ومعظم من مستصغر الشرر
والمرء ما دام ذا عين يقلبها
في أعين الغير موقوف على خطر
كم نظرة فعلت في قلب صاحبها
فعل السهام بلا قوس ولا تر
يسر مقلته ما ضر بهجته
لا مرحباً بسرور عاد بالضرر

وقال ابن القيم الجوزية ـ رحمه الله ـ:

يا رامياً بسهام اللحظ مجتهدا
أنت القتيل بما ترمي فلا تصب

---

(١) رواه الطبراني والحاكم.

ترجو الشفاء بأحداق بها مرض

فهل سمعت ببرء جاء من عطب

يتحدث بعض الشباب عن معاناته لما يلاقيه بفعل مغريات المجتمع، فيحاول أن يعطي من كيانه كله لوجوده كله في تناسق واعتدال، بأن يعطي من تفكيره وعقله لأسرار الكون وحقائقه، ويعطي من كبريائه وطاقته للحياة التي يتمتع بها والأرض التي يمتلكها، ويعطي من إحساسه ووجدانه للحق الذي يؤمن به، ويعطي من غرائزه البشرية لبنيان المجتمع وقافلة الحياة، ولكنه لا يبصر من الوجود الذي حوله إلا من يتعامل مع غرائزه البشرية فقط، ولذلك فإن من الطبيعي جداً إذا ما التفّ به تيار هذا الوجود الجنسي فترة من الوقت أن يتحول كيانه الإنساني المتكامل إلى كتلة من الجنس تسأل عقله عن حقائق الكون؟ فتجيبك غريزته: هي المرأة! وتسأله لماذا يعيش؟ فيجيبك بملء كيانه: ابتغاء ليلة حمراء وفتاة حسناء! وليست المشكلة أن شباب هذا العصر تتقد الحرارة الجنسية بين جوانحه أكثر من الأجيال السابقة فذلك وهم باطل.

وإنما المشكلة أن المجتمع لم يتعامل من مجموع

كيانه الإنساني كله إلا مع الغريزة الجنسية فأيقظها بل أثارها بشتى المغريات والمهيجات[1].

وقد أعجبني أيما إعجاب فتوى العالم الإسلامي الكبير الشيخ على الطنطاوي عندما أجاب عن معاناة شاب مسلم بهذا الخصوص حيث قال: «ما تقاسي منه يقاسي منه كل شاب وكل فتاة، هذه غريزة، أي أنها مغروزة ومغروسة في نفوس الجميع، فمن الناس من ظن أنه يستطيع قلعها، ومنهم من تركها تكبر كشجرة شائكة كلما امتدت فروعها زادت أشواكها وسدت عن الناس طريق أو مزقت منهم الجلود والثياب، الإسلام ما قال لنا اقلعوا هذه (الغريزة)، ما قال لنا اعملوها رهبانية، لأن ذلك مخالف للطبيعة التي طبع الناس عليها، ولا قال لنا اتركوها تكبر وتشتد وتؤذي الناس، بل علّمنا كيف نشذبها. فنبقى على الغصن النافع ونقطع الشوك المؤذي، فينالنا خيرها وينأى عنا ضرها، إنها كالسيل ينحط من شعاب الجبل، من وقف في وجهه جرفه ومن تركه رآه يدمر البلاد ويُهلك العباد، والعاقل من يتخذ طريقاً ويحفر له مجرى، إذا جاء جرى فيه، وهذا ما صنعه الإسلام».

ويسترسل بالحديث إلى أن ينتهي بالقول: «إلا أن الذي يعمله الزاني هو الذي يعمله المتزوج، ولكن الأول:

---

(١) د. محمد سعيد رمضان البوطي، الإسلام ومشكلات الشباب، الطبعة الثالثة، ص٥١.

يختفي ويتوارى ويحاذر أن يعرف الناس خبره ويظل خائفاً على جسده من الأمراض وقد جد منها الآن ما لم نسمع به من قبل، وخائفاً على اسمه واسم أسرته أن تتناوله ألسنة الناس، والثاني: يدعو الناس إلى وليمة الزواج ويزين وجه العمارة بأسلاك المصابيح ويدخل بالتكرمة ويصبح بالتهنئة، والأول بعد ذلك النار تنتظره في الآخرة، والثاني تنتظره جنة عرضها السماوات والأرض إن كان مؤمناً، وصحح نيته بالزواج طالباً ثواب الله والابتعاد عن الحرام، وفي الحديث: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له أجر؟ قال: **«أرأيت إن وضعها في حرام أيكون عليه وزر؟»** فالشهوة كالقنبلة المدمرة ما دام مسمارها فيها أمنت انفجارها، فإياك أن تسحب المسمار فإن بعده الانفجار، إنها الفتنة نائمة فالمجرم المجرم من أيقظها»[1].

وهكذا يتأكد لدينا أن في غض البصر منافع كثيرة وفوائد عديدة منها[2]:

١ ـ إنه امتثال لأمر الله الذي هو غاية سعادة العبد في الدنيا والآخرة.

---

(١) الشيخ علي الطنطاوي، كتاب الفتاوى، دار المنار للنشر والتوزيع، جدة، نقلاً عن مجلة سيدتي، العدد ٤٣٧، ذو الحجة ١٤٠٩هـ، ص٣٢.

(٢) الشيخ عبدالله الجار الله، المصدر السابق، ص٣٠، ٣١.

٢ ـ إنه يمنع وصول أثر السهم المسموم الذي ربما كان في هلاكه.

٣ ـ إنه يورث القلب نوراً وإشراقاً، كما أن إطلاقه يكسبه ظلمة تظهر في الوجه والجوارح.

٤ ـ إنه يخلّص القلب من ألم الحسرة، فإن مَن أطلق بصره دامت حسرته.

٥ ـ إنه يورث صحة الفراسة الصادقة التي يميز بها بين الصادق والكاذب.

٦ ـ إنه يفتح له باب العلم والإيمان والمعرفة بالله وأحكامه.

٧ ـ إن غض البصر يورث ثباتاً وشجاعةً.

٨ ـ إنه يورث القلب سروراً وفرحاً أعظم من اللذة الحاصلة بالنظر.

٩ ـ إنه يخلّص القلب من أسر الشهوة، فإن الأسير هو أسير هواه وشهوته.

١٠ ـ إنه يفرغ القلب للتفكر في مصالحه والاشتغال بها، وإطلاق البصر يشتت عليه ذلك.

١١ ـ إن غض البصر يقوي العقل ويزيده ويثبته، وإطلاق البصر وإرساله لا يحصل إلا من خفة العقل وطيشه وعدم ملاحظته للعواقب.

قال الشاعر:

وأعقل الناس من لم يرتكب عملاً
حتى يفكر ما تجني عواقبه

١٢ ـ وغض البصر يخلّص القلب من سُكْر الشهوة ورقدة الغفلة، وإطلاق البصر يوجب استحكام الغفلة عن الله والدار الآخرة.

ثانياً: رغّب الإسلام في الزواج الشرعي ذلك الأمر الفطري الذي ينساق إليه الإنسان بطبيعته والذي شأنه أن يكون سهلاً ميسوراً لولا ما أضفنا إليه من أشياء وأشياء جعلته صعباً بعيد المنال حتى عزف عنه كثير من الناس بفضل العوائق المقامة في سبيله، إلى جانب هذا حرّم الإسلام الاتصال الجنسي بجميع أشكاله خارج الدائرة الزوجية، واعتبره جريمة يستحق مقترفها أشد العقوبات من الرجم للمحصن والجلد للأعزب ليضع الغريزة في طريقها الطبيعي وهو الزواج المشروع الذي به بقاء النوع والحياة الهانئة، فقال عزَّ من قائل: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾[1].

---

(١) سورة الروم، الآية: ٢١.

كما حرّم الإسلام قذف المحصنات الغافلات وامتهانهن بما ينافي العفة، وجعل عقوبة ذلك جلد القاذف ثمانين جلدة مع انتزاع القيمة الأدبية عنه برد شهادته وعدم قبولها أبداً، فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ۝٤﴾[1].

وهكذا يبدو من خلال عرض مشكلة الجنس ووسائل الإسلام لحلها أن وسيلة الحجاب تعتبر من أنفع الوسائل وأقواها في منع الفاحشة، بحيث لو لم يأمر الله تعالى بها لكان العقل يأمر بها ويوجبها.

(١) سورة النور، الآية: ٤.

حدود الحجاب في نظر الإسلام

هل هو عام لكل الجسم أم هناك استثناء؟

الأصل في وجوب الحجاب على المسلمة وعدم وجوبه هو اختلاف العلماء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾، وهو محور الجدل ومصدر الخلاف، لأن هذا التعبير القرآني يحتمل:

١ ـ أن يكون مجازاً مرسلاً من باب ذكر الحال، وأريد به المحل، أي: ذكرت الزينة الظاهرة كالخاتم والكحل والخضاب ونحوها، وأريد بها مواقعها والتي هي الوجه والكفان كما هو رأي الجمهور.

٢ ـ كما يحتمل أن يكون الكلام على حقيقته، أي ذكرت الزينة دون مواقعها للمبالغة في الأمر بالتستر، لأن هذه الزينة واقعة على مواضع من الجسد لا يحل النظر إليها إلا لمن استثني في الآية، فنهى عن إبداء الزينة نفسها، ليعلم أن النظر إذا لم يحل إليها لملابستها

تلك المواقع بدليل أن النظر إليها غير ملابسة لها، لا مقال في حله، كان النظر إلى المواقع أنفسها متمكناً في الحظر، ثابت القدم في الحرمة، شاهداً على أن النساء حقهن أن يحتطن في ستر تلك المواقع، ويتقين في الكشف[1].

والذي لا شك فيه أن لكل منهم أدلته الواضحة التي يتمسك بها ويرى أنها هي الصواب استناداً إلى ما وصل إليه في تفكيره من فهم لما ورد في ذلك من آيات من كتاب الله أو أحاديث من سنّة رسول الله ﷺ، ومعلوم أن العالم إذا اجتهد وأصاب فله أجران، وإن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد.

أدلة الفريق الأول:

١ ـ قوله ﷺ: **«إذا خطب أحدكم امرأة فلا جناح عليه أن ينظر منها إذا كان إنما ينظر إليها لخطبة وإن كانت لا تعلم»**[2].

---

(١) راجع الزمخشري، الكشاف ١٦/٣، والألوسي، روح المعاني ١٤٠/١٨، وقد ذهب إلى قريب مما ذكر صاحب بداية المجتهد في ٩٨/١، انظر جمال محمد الباجوري، المصدر السابق، ص٣١٢ ـ ١٣٣.

(٢) رواه أحمد.

قال في مجمع الزوائد: رجاله رجال الصحيح.

وجه الدلالة منه أن النبيّ ﷺ نفى الجناح، وهو الإثم عن الخاطب، خاصة إذا نظر من مخطوبته بشرط أن يكون نظره للخطبة، فدلّ هذا على أن غير الخاطب آثم بالنظرة إلى أجنبية بكل حال، وكذلك الخاطب إذا نظر لغير الخطبة مثل أن يكون غرضه التلذذ والتمتع به نحو ذلك. فإن قيل ليس في الحديث بيان ما ينظر إليه، فقد يكون المراد بذلك نظر الصدر والنحر، فالجواب أن كل واحد يعلم أن مقصود الخاطب المريد للجمال إنما هو جمال الوجه، وما سواه تبع لا يُقصد غالباً.

وبهذه المناسبة أود أن أذكر نص ما قاله الكاتب الإسلامي الكبير الأستاذ أبو الأعلى المودودي في كتابه (الحجاب) بهذا الخصوص حيث قال: (هل رأيت أنك إن كنت تريد أن تتزوج بفتاة وأردت أن تلقي عليها نظرك قبل أن تعزم على الأمر بصفة نهائية فقل لي بالله ربك إلامَ تنظر فيها لتقبلها أو ترفضها؟ وهب أن لنظرك إليها صورتين اثنتين، **أولاهما**: أن تخرج لك الفتاة في كل زينتها إلا وجهها، **والثانية**: أن تريك وجهها وحده من نافذة دون سائر جسدها، فأي صورة من هاتين تختارهما لانتخاب الفتاة لنفسك؟ أصدِقني بالله، ألا

يكون جمال الوجه آثر وأرجح عندك من جمال سائر الجسم؟)[1].

فالخاطب إذن إنما ينظر إلى الوجه لأنه المقصود بالذات لمريد الجمال بلا ريب.

٢ ـ إن النبيّ ﷺ أمر بإخراج النساء إلى مصلى العيد، قلن: يا رسول الله إحدانا لا يكون لها جلباب؟ فقال النبيّ ﷺ: **«لتُلبسها أختها من جلبابها»**[2].

فهذا الحديث يدل على أن المعتاد عند نساء الصحابة أن لا تخرج المرأة إلا بجلباب وأنها عند عدمه لا يمكن أن تخرج، ولذلك ذكرن رضي الله عنهن هذا المانع لرسول الله ﷺ حينما أمرهن بالخروج إلى مصلى العيد، فبيّن النبيّ ﷺ لهن حل هذا الإشكال بأن تُلبسها أختها من جلبابها، ولم يأذن لهن بالخروج بغير جلباب مع أن الخروج إلى مصلى العيد مشروع مأمور به للرجال والنساء. فإذا كان رسول الله ﷺ لم يأذن لهن بالخروج بغير جلباب فيما هو مأمور به، فكيف يرخص لهن في ترك الجلباب لخروج غير مأمور به ولا محتاج إليه؟ بل هو التجول في الأسواق والاختلاط بالرجال

---

(١) أبو الأعلى المودودي، الحجاب، ص٣٠٨ ـ ٣٠٩، دار الفكر للطباعة والنشر.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

والتفرج الذي لا فائدة منه. وفي الأمر بلبس الجلباب دليل على أنه لا بد من التستُّر، والله أعلم.

٣ ـ إن النبيّ ﷺ قال: «**مَن جرّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة**» فقالت أم سلمة: فكيف يصنع النساء بذيولهن؟ قال: «**يرخينه شبراً**» قالت: إذن تنكشف أقدامهن؟ قال: «**يرخين ذراعاً لا يزدن عليه**»(١).

ففي هذا الحديث دليل وجوب ستر قدم المرأة، وأنه أمر معلوم عند نساء الصحابة رضي الله عنهم، والقدم أقل فتنة من الوجه والكفين بلا ريب. فالتنبيه بالأدنى على ما فوقه وما هو أولى منه بالحكم، وحكمة الشرع تأبى أن يجب ستر ما هو أقل فتنة ويرخص في كشف ما هو أعظم منه فتنة، فإن هذا من التناقض المستحيل على حكمة الله وشرعه.

٤ ـ قوله ﷺ: «**إذا كان لإحداكن مكاتب وكان عنده ما يؤدي فلتحتجب منه**»(٢).

وجه الدلالة من هذا الحديث أنه يقتضي أن كشف السيدة وجهها لعبدها جائز ما دام في ملكها، فإذا خرج منه وجب عليها الاحتجاب لأنه صار أجنبياً، فدلّ على

---

(١) رواهما البخاري ومسلم.

(٢) رواه الخمسة إلا النسائي وصححه الترمذي.

وجوب احتجاب المرأة عن الرجل الأجنبي.

٥ ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان الركبان يمرون بنا ونحن محرمات مع الرسول ﷺ، فإذا حاذونا سدلت إحدانا جلبابها على وجهها من رأسها، فإذا جاوزونا كشفناه»[١]. ففي قولها: «فإذا حاذونا» تعني الركبان «سدلت إحدانا جلبابها على وجهها»، دليل على وجوب ستر الوجه، لأن المشروع في الإحرام كشفه، فلولا وجود مانع قوي من كشفه حينئذ لوجب بقاؤه مكشوفاً حتى الركبان. وبيان ذلك أن كشف الوجه في الإحرام واجب على النساء عند الأكثر من أهل العلم، والواجب لا يعارضه إلا ما هو واجب، فلولا الاحتجاب وتغطية الوجه عند الأجانب ما شاع ترك الواجب من كشفه حال الإحرام، وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما أن المرأة المحرمة تنهى عن النقاب والقفازين[٢] لما ورد عن عائشة «لا تلثم المرأة ولا تتبرقع ولا تلبس ثوباً بورس ولا زعفران»[٣].

(١) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه.

(٢) الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، رسالة الحجاب، ص ١٤ـ ١٩، ط٣، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، مركز شؤون الدعوة ٤٣.

(٣) رواه البخاري.

أدلة الفريق الثاني:

١ - عن عائشة رضي الله عنها، أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على رسول الله ﷺ وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها وقال: «**يا أسماء إن المرأة إذا بلغت سن المحيض عليها جناح أن يرى منها إلا هذا وهذا**»، وأشار إلى وجهه وكفَّيه[١].

٢ - عن ابن عباس رضي الله عنه أن أخاه الفضل كان رديفاً للنبي ﷺ في حجة الوداع، فجاءت امرأة من خثعم، فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه، فجعل النبيّ ﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر، ففي هذا دليل على أن المرأة كانت كاشفة وجهها[٢].

---

(١) رواه أبو داود، الحديث ضعيف من وجهين:
أحدهما: الانقطاع بين عائشة وخالد بن دريك الذي رواه عنها، كما أعلمه بذلك أبو داود نفسه حيث قال: خالد بن دريك لم يسمع من عائشة وكذلك أعلمه أبو حاتم الرازي.
الثاني: إن في إسناده سعيد بن بشير النصري نزيل دمشق تركه ابن مهدي وضعفه أحمد وابن معين وابن الميني والنسائي وعلى هذا فالحديث ضعيف لا يقاوم ما تقدّم من الأحاديث الصحيحة.

(٢) رواه البخاري. الظاهر أنها كانت محرمة، والمشروع في حقها أن لا تغطي وجهها إذا لم يكن أحد ينظر إليها من الأجانب، أو يقال: لعل النبيّ ﷺ أمرها بعد ذلك، فإن عدم نقل أمره بذلك لا يدل على عدم الأمر، إذ عدم النقل ليس نقلاً=

٣ ـ حديث جابر بن عبدالله في صلاة النبيّ ﷺ بالناس صلاة العيد، ثم وعظ الناس وذكّرهم، ثم مضى حتى أتى النساء فوعظهن وقال: «**يا معشر النساء تصدّقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار**» فقامت امرأة من وسط الناس سفعاء الخدَّين فقالت: ما لنا أكثر أهل النار[١]؟ الحديث. فكون الراوي وصف خدَّيها دليل على أن النساء كن يكشفن وجوههن في عهد رسول الله ﷺ، وإلا لما كان يسع جابر أن يذكر تلك الأوصاف بدون النظر.

٤ ـ ما قاله ابن عباس لعطاء بن أبي رباح: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء أتت النبيّ ﷺ، قالت: إني أُصرع وإني أتكشف فادعُ الله لي، قال ﷺ: «**إن شئتِ صبرتِ ولكِ الجنة، وإن شئتِ دعوتُ الله أن يعافيكِ**» فقالت: أصبر. فقالت: إني أتكشف فادعُ الله لي أن لا أتكشف، فدعا لها[٢]، فوصف ابن عباس رضي الله عنه لها بالسوداء،

= للعدم، وروى مسلم وأبو داود عن جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن نظرة الفجاءة فقال: «**اصرف بصرك**» أو قال: فأمرني أن أصرف بصري.

(١) رواه البخاري، لم يذكر متى كان ذلك، أي (صلاة العيد) فآية الحجاب نزلت في سورة الأحزاب سنة خمسة أو ست من الهجرة، وصلاة العيد شرعت في السنة الثانية من الهجرة.

(٢) رواه البخاري ومسلم، من المحتمل أن تكون هذه المرأة من=

أيضاً دليل كشف النساء وجوههن في عهد الرسول ﷺ بحضوره[1].

وهكذا يتبين أن العلماء في ذلك على قولين: أباح بعضهم كشف الوجه واليدين عند أمن الفتنة، ولم يبح ذلك آخرون إلا عند الاضطرار. وعلى القول الأول: أبو حنيفة، وعلى القول الثاني: مالك والشافعي وأحمد[2].

= القواعد اللاتي لا يرجون نكاحاً، فكشف وجهها مباح، ولا يمنع وجوب الحجاب على غيرها.

(١) هذه الأدلة لا تعارض ما سبق من أدلة وجوب ستره وذلك لوجهين:
أحدهما: إن أدلة وجوب ستره ناقلة عن الأصل، وأدلة جواز كشفه مبقية على الأصل، والناقل عن الأصل مقدّم كما معروف عند الأصوليين، وذلك لأن الأصل بقاء الشيء على ما كان عليه، فإذا وجد الدليل الناقل عن الأصل دلّ ذلك على طروء الحكم على الأصل وتغييره له، ولذلك نقول: إن مع الناقل زيادة علم، وهو إثبات تغيير الحكم الأصلي، والمثبت مقدّم على النافي، وهذا الوجه إجمالي ثابت حتى على تقدير تكافؤ الأدلة ثبوتاً ودلالةً.
الثاني: إننا إذا تأملنا أدلة جواز كشفه وجدناها لا تكافىء أدلة المنع، واتضح ذلك بالرد على كل منها.
محمد بن صالح بن عثيمين، رسالة الحجاب، ص٢٤ ـ ٢٩، بتصرف.

(٢) راجع فضيلة الشيخ وهبي سليمان غلوجي، كتاب المرأة المسلمة، ص١٩١ ـ ٢١٢.

١ ـ **مذهب المالكية**: أنه لا يجوز النظر إلى شيء من بدن المرأة لا إلى الوجه ولا إلى الكفين ولا إلى غيرهما، ولا يجوز للمرأة إبداء الوجه والكفين للأجانب. وقد صرّح ابن المنير المالكي بذلك فقال: إن كل بدن الحرة لا يحل لغير الزوج والمحرم النظر إلى شيء منها إلا لضرورة كالمعالجة وتحمُّل الشهادة(١).

وقال القاضي أبو بكر ابن العربي في كتابه (أحكام القرآن)(٢) عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾، وهذا يدل على أن الله تعالى أذن في مساءلتهن من وراء حجاب، في حاجة تعرض أو مسألة يستفتى فيها، والمرأة كلها عورة، بدنها وصوتها، فلا يجوز كشف ذلك إلا لضرورة أو لحاجة، كالشهادة أو داء يكون ببدنها(٣).

٢ ـ **مذهب الشافعية**: أنه لا يجوز النظر إلى شيء من بدن المرأة لا الوجه ولا الكفَّين، ولا يجوز للمرأة إبداء شيء من بدنها للأجانب إلا للضرورة.

---

(١) الألوسي، روح المعاني.

(٢) ابن العربي، أحكام القرآن، ص٢ ـ ١٨.

(٣) اعتبر الشيخ الصابوني في روائع البيان ج٢، ص١٥٤ رأي المالكية كرأي الحنفية.

قال الإمام النووي: ويحرم نظر فحل بالغ إلى عورة حرة أجنبية، وكذا إلى وجهها وكفَّيها عند خوف الفتنة، وكذا عند الأمن على الصحيح[1].

٣ ـ **مذهب الحنابلة**: أنه لا يجوز النظر إلى شيء من بدن المرأة لا الوجه ولا الكفين، ولا يجوز للمرأة إبداء شيء من بدنها للأجانب إلا للضرورة. قال الشيخ يوسف مرعي: وحرم في غير ما مر، والذي مر هو نظر الخاطب ونظر الزوج إلى زوجته وغير ذلك، قصد نظر أجنبية حتى شعر متصل لا بائن.

قال أحمد: ظفرها عورة، فإذا خرجت فلا تبين شيئاً ولا خفَّيها فإنه يصف القدم، وأحب أن تجعل لكمها زراً عند يدها[2].

٤ ـ **مذهب الحنفية**: أنه يجوز للمرأة كشف وجهها وكفيها عند أمن الفتنة، قال الكاساني: فلا يجوز النظر من الأجنبي إلى الأجنبية الحرة إلى سائر بدنها إلا الوجه والكفَّين لقوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ إلا النظر إلى مواضع الزينة

---

(١) الشوكاني، نيل الأوطار، ص٢ ـ ١٨.

(٢) المقدسي، غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى، ص٣ ـ ٧.

الظاهرة وهي الوجه والكفّان، رخص بقوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾، والمراد من الزينة مواضعها، ومواضع الزينة الظاهرة الوجه والكفان كما مرّ بنا آنفاً، ولأنها تحتاج إلى البيع والشراء والأخذ والعطاء، ولا يمكنها ذلك عادة إلا بكشف الوجه والكفين، فيحل لها الكشف، وهذا قول أبي حنيفة رضي الله عنه. وروى الحسن عن أبي حنيفة أنه يحل النظر إلى القدمين أيضاً، ثم قال: إنه يحل النظر إلى مواضع الزينة منها من غير شهوة، وأما عن شهوة فلا، لقوله ﷺ: «**العينان تزنيان**» وليس زنى العينين إلا النظر عن شهوة. ثم قال: والأفضل للشاب غض البصر عن وجه الأجنبية وكذلك الشابة، لما فيه من حدوث الشهوة والوقوع في الفتنة، ويؤيده المروي عن أبي مسعود رضي الله عنه أنه قال في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ أنه الرداء والثياب، فكان غض البصر وترك النظر أزكى وأطهر[١].

وجاء في الدر المختار: يعذر المولى عبده والزوج زوجته على تركها الزينة أو كلمة ليسمعها أجنبي، أو كشف وجهها لغير محرم.

---

(١) الكاساني، بدائع الصنائع، ص٥ ـ ١٢٣.

وجاء فيه كذلك: وتمنع المرأة الشابة من كشف الوجه بين الرجال، لا لأنه عورة بل لخوف الفتنة كمسه، وإن أمن الفتنة لأنه أغلظ، ولذا ثبتت فيه حرمة المصاهرة. قال ابن عابدين في شرحه عليه: المعنى: تُمنع من الكشف لخوف أن يرى الرجال وجهها فتقع الفتنة، لأنه مع الكشف قد يقع النظر إليها بشهوة. قوله: كمسه، أي: كما يمنع الرجال من مس وجهها وكفيها وإن أمن الشهوة.

وقال أبو بكر الجصاص وهو حنفي، عند قوله تعالى: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ﴾: في هذه الآية دلالة على أن المرأة الشابة مأمورة بستر وجهها من الأجنبي وإظهار الستر والعفاف عند الخروج لئلا يطمع أهل الريبة فيهن(١).

فأصل مذهب الإمام أبو حنيفة جواز كشف المرأة وجهها في الحالات العامة، على وجود المجتمع المسلم العفيف في رجاله ونسائه، أما إذا تغيرت الحالة العامة ولم يؤمَن فيها من الفتنة فيجب على المرأة أن تستر جميع بدنها وجهها وكفَّيها سداً لذرائع الفساد وعوارض الفتن.

---

(١) أحكام القرآن، ص٣ ـ ٤٥٨.

وهكذا فقد ثبت الإجماع عند جميع الأئمة[1] أنه يجب على المرأة أن تستر وجهها عند خوف الفتنة بأن كل من حولها ينظر إليها بشهوة، ومن ذا الذي يستطيع أن يزعم أن الفتنة مأمونة اليوم! وأنه لا يوجد في الشوارع من ينظر إلى وجوه النساء بشهوة؟!

واتفقوا على جواز كشف المرأة وجهها ترخصاً لضرورة تعلُّم أو تطبيب أو عند أداء شهادة أو تعامل من شأنه أن يستوجب الشهادة. والضرورة قائمة وإلا فكيف تدرس الطبيبة والممرضة والمدرِّسة والمعلمة ومن يقمن بشؤون النساء؟

هذا هو حكم الإسلام في لباس المرأة، اتفقت عليه كلمة علماء المسلمين كلهم، معتمدين في ذلك على نصوص واضحة صريحة في كتاب الله تعالى، وأحاديث ثابتة من سنَّة رسول الله عليه الصلاة والسلام[2]. فإذا عثرنا بعد ذلك على وقائع وتصرفات فردية لبعض نساء الصحابة أو التابعين أو غيرهم، فإنها وقائع محجوبة بالحكم المبرم الذي دل عليه إجماع

(١) انظر البوطي، إلى كل فتاة تؤمن بالله، ص٤٤ ـ ٤٥.
(٢) لمزيد من التفاصيل راجع الكتب الآتية: الحجاب للمودودي، حجاب المرأة المسلمة للألباني.

الأئمة وصريح الكتاب والسنة، وحاشا أن يكون حكم الله هو المحجوج بها[1].

(١) لقد رأى بعض من الأخوة ترك البحث في هذا الموضوع، أي (حدود الحجاب هل هو عام لكل الجسم أم هناك استثناء؟) لكونه قد أُشبع بحثاً ومناقشة من قبل علمائنا الأفاضل كالمودودي والألباني، ولما قد يثيره من خلافات، ولكني رأيت ضرورة بحثه، فالواجب على كل باحث يتحرى العدل والإنصاف أن يقف بين أدلة الخلاف موقف الحاكم بين الخصمين، فينظر بعين العدل ويحكم بطريق العلم، فلا يرجح أحد الطرفين بلا مرجح بل ينظر في إثبات حججه والتقصيم والإهمال لأدلة خصمه. ولذلك قال العلماء: ينبغي أن يستدل قبل أن يعتقد ليكون اعتقاده تابعاً للدليل لا متبوعاً له، لأن من اعتقد قبل أن يستدل قد يحمله اعتقاده على رد النصوص المخالفة لاعتقاده أو تحريفها إذا لم يكن ردها.

إن المرء لا يتمالك نفسه وهو أمام تلك الحجج والنقاش العلمي الذي وجّه به كل مذهب رأيه إلا ويأخذه الصمت، كيف لا وهو يحاول ترجيح رأي على آخر، فلست من أهل الترجيح ولا يمكنني ادعاء ذلك، فأين نحن من هؤلاء؟ ولكن الموقف هو إظهار الرأي على ضوء المصلحة العامة والموازنة بين الأدلة ليس أكثر.

مواصفات الحجاب وشروطه

بيّن الحق سبحانه وتعالى صفات حجاب المرأة المسلمة فبيّن طوله فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾[(١)].

وبين غطاء الرأس فقال: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾[(٢)] وذلك أن نساء الجاهلية كن يلبس غطاء الرأس ويضربنه على ظهورهن فتظهر أعناقهن وآذانهن، فنهى الله عن ذلك.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«صنفان من أهل النار لم أرهما بعد: نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات على رؤوسهن أمثال أسنمة البخت المائلة لا يرين الجنة ولا يجدن ريحها، ورجال**

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٩.

(٢) سورة النور، الآية: ٣١.

معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس»[١].

قال الشوكاني: قوله: **«صنفان من أهل النار»** فيه ذم هذين الصنفين. قال النووي: هذا الحديث من معجزات النبوة، فقد وقع الصنفان وهما موجودان، ومعلوم أن الإمام النووي من علماء القرن الخامس، فماذا لو حضر إلينا الآن ليرى ما يعانيه الشاب من رؤيته (للمناظر العجيبة المثيرة ما من شأنه أن يذهله عن جميع خصائصه الذاتية إلا خاصة واحدة أنه حيوان جنسي يتوق من الدنيا كلها شيء واحد هو الجنس، هذه المناظر كانت ذات يوم محدودة بما يحكم به الدين أو الشرف أو الخلق أو القانون أو النظام، ولكنها اليوم محكومة بعجلة السباق وحدها، فإذا كانت العجلة قد وصلت اليوم إلى الكشف عن نصف الفخذ فإن لها أن تسابق الواقع فتصل غداً إلى الكشف عن نصفه الآخر. والعجلة سائرة والطريق أمامها مفتوح إلى النهاية ولا يعترضها أحد من الدين أو الشرف أو الخلق ولا حتى من الذوق)[٢].

---

(١) رواه أحمد ومسلم.

(٢) الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، المصدر السابق ص٥١.

وقوله: «**كاسيات عاريات**»، قيل: كاسيات من نعمة الله، عاريات من شكرها، وقيل معناه: تستر بعض بدنها وتكشف بعضه إظهاراً لجمالها ونحوه ـ وهن العاريات ـ وقيل: تلبس ثوباً رقيقاً يصف بدنها ـ وهن الكاسيات ـ والرأيان صحيحان، فالعاريات الكاسيات عاريات من شكر نعمة الله، وكاسيات نعمته جلّ في علاه، فلا تعارض بينهما.

وقوله: «**مائلات**» أي عن طاعة الله ويلزمهن حفظه. «**مميلات**»: أي يُعلمن غيرهن فعلهن المذموم، وقيل: (مائلات بمشيتهن متبخترات مميلات لأكتافهن)، وقيل: (المائلات بمشيتهن مشي البغايا).

وقوله: «**على رؤوسهن أمثال أسنمة البخت**»، أي يُكرمن شعورهن ويُعظمنها بلف عمامة أو عصابة أو نحوها، والبخت: بضم الباء الموحدة وسكون الخاء المعجمة والتاء المثناة: الإبل الخراسانية، والمراد (يعلين شعورهن كأسنمة البخت وهو ما يحدث الآن من جمع شعر إلى أعلى من خلف الرأس). وقال: (والحديث ساقه المصنف للاستدلال به على كراهة لبس المرأة ما يحكي بدنها وهو أحد التفاسير كما تقدم والإخبار بأن من فعل ذلك من أهل النار، وأنه لا يجد ريح الجنة مع أن ريحها يوجد من مسيرة خمسمائة عام، وعيد شديد

يدل على تحريم اشتمل عليه الحديث من صفات هذين الصنفين)[1].

ومما تقدم يثبت أن الحجاب يجب أن تتوافر فيه الصفات الآتية:

١ ـ أن لا يشف ما تحته برقته وشفافيته.

٢ ـ أن لا يصف ما تحته بضيقه.

٣ ـ أن لا يشبه لباس الرجال.

٤ ـ أن لا يكون زينة في نفسه.

٥ ـ أن لا يكون مطيباً.

٦ ـ أن لا يكون لباس شهرة.

١ ـ أن لا يشف ما تحته برقته وشفافيته:

عن عبدالله بن أبي سلمة أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كسا الناس القباطي (جمع قبطة)، ثم قال: لا تدرعها نساؤكم، فقال رجل: يا أمير المؤمنين، قد ألبستها زوجتي ما أقبلت في البيت وأدبرت فلم أره يشف، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن لم يشف فإنه يصف. وفي هذا يتبين

---

(١) نيل الأوطار، ٢١٢/٢.

أن الثوب الشفاف لا يجوز على المرأة لبسه لأنه كان رقيقاً لا يقوم بواجب الستر بل قد يزيد المرأة فتنة وزينة. ولذلك قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: «إنما الخمار ما وارى البشرة والشعر»[1].

إن من تلبس الملابس الشفافة هي كاسية عارية، وجعلها من أحد الصنفين المستحقين لدخول النار كما تقدم في الحديث دليل على أن عملها محرم تستحق العقاب لأجله، حيث لا يدخل النار إلا من ارتكب محرماً.

وهذا ما نشاهده اليوم في نساء هذه الأمة، فهن كاسيات، بمعنى عليهن ثياب إلا أنهن عاريات لأنها لا تستر ما المطلوب ستره باللباس إما لرقته وشفافته وإما لعدم إكسائه المواضع المطلوب سترها.

(فالثوب الفضفاض الذي لا يبدي جمال الجسم يبرز منه شكل الأعضاء باهتزازها في الحركة والمشية والالتواءة الخليعة.

فهل تقبل المرأة الشريفة عرض جمالها في السوق سلعة تتداولها الأعين؟ وكيف يرضى لها حياؤها أن تكون مبعث إثارة شهوة في نفس رجل يراها؟ بل كيف تطيق الشعور بأنه يصبو إليها ويتمناها؟

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي ج٢/٢٣٥.

إنها لو فكرت في ذلك الأمر برهة لاحمرّت خجلاً ولسترت جمالها وزينتها من الأعين الشرهة)[1].

٢ ـ أن لا يصف ما تحته بضيقه:

إن الملابس الضيقة تجلي ما تحتها من النهدين والفخذين والإليتين: فلبسها حرام أيضاً لأنها مدعاة أيضاً لاستمالة الرجال وإغرائهم، ومن ثم تكون وسيلة من وسائل الفاحشة وطريقاً من طرق الفساد، فإذا كان الثوب ضيقاً وإن ستر لون البشرة فإنه يصف حجم الجسم أو بعضه ويصوره في أعين الرجال، وفي ذلك من الفساد ما لا يخفى. ومما يدل على هذا ما قاله أسامة بن زيد: كساني رسول الله ﷺ قبطية كثيفة مما أهداها له دحية الكلبي فكسوتها امرأتي فقال: «**مرها فلتجعل تحتها غلالة فإني أخاف أن تصف حجم عظامها**»[2].

قوله: قبطية بضم القاف، وقد تكسر وهي نسبة إلى القبط أهل مصر، وقوله: غلالة بكسر الغين: شعار يلبس تحت الثوب.

---

(١) التبرج، لحرم د. محمد رضا، مطبوعات جمعية التمدن الإسلامي بدمشق، ١٩٥٨، ص٢٦.

(٢) رواه أحمد والطبراني والبيهقي.

(فقد أمره ﷺ بأن تجعل المرأة تحت القبطية غلالة، وهي شعار يلبس تحت الثوب ليمنع بها وصف بدنها، والأمر يفيد الوجوب كما تقرر في الأصول)[1].

(ومما يحسن إيراده هنا استئناساً ما روي عن أم جعفر بنت محمد بن جعفر أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ قالت: يا أسماء إني قد استقبحت ما يصنع النساء أن يطرح على المرأة فيصفها، أي وهي ميتة، فقالت أسماء: يا ابنة رسول الله ﷺ ألا أريك شيئاً رأيته بالحبشة؟ فدعت بجرائد رطبة فحنتها ثم طرحت عليها ثوباً، فقالت فاطمة: ما أحسن هذا وأجمله!! يعرف به المرأة من الرجل، فإذا متُّ أنا فاغسليني أنتِ وعلِيّ ولا يدخل عَلَيَّ أحد» فلما توفيت غسلها علي وأسماء رضي الله عنهما).

فانظر إلى فاطمة بضعة النبيّ ﷺ كيف استقبحت أن يصف الثوب المرأة وهي ميتة، فلا شك أن وصفه إياها وهي حية أقبح وأقبح.

فليتأمل في هذا مسلمات العصر اللاتي يلبسن من هذه الثياب الضيقة التي تصف نهودهن وخواصرهن وألياتهن وسوقهن وغير ذلك من أعضائهن، ثم ليَتُبن إليه

---

(١) الألباني، حجاب المرأة المسلمة، ص٦٠ ـ ٦٢.

تعالى وليذكرن قوله ﷺ: **«الحياء والإيمان قرناً جميعاً فإذا رفع أحدهما رفع الآخر»**[1].

٣ ـ أن لا يشبه لباس الرجل:

عن أم سلمة: أن النبيّ ﷺ دخل على أم سلمة وهي تختمر فقال: **«لية لا ليتين»**[2]. قوله: (وهي تختمر) الواو للحال، والتقدير عليها حال كونها تصلح خمارها، يقال: اختمرت المرأة وتخمرت إذا لبست الخمار، وقوله: **«لية»** بفتح اللام وتشديد الياء والنصب على المصدر وما نصبه فعل تقديره مقدر والتقدير ألويه لية، أي: (لفّيه).

وقوله: **«لا ليتين»**: أمرها أن تلوي خمارها على رأسها وتديره مرة واحدة لا مرتين لئلا يشبه اختمارها تدوير عمائم الرجال إذا اعتمّوا، فيكون ذلك من التشبُّه المحرم.

وعن أبي هريرة: «أن النبيّ ﷺ لعن الرجل يلبس لبس المرأة والمرأة تلبس لبس الرجل»[3].

---

(١) أخرجه الحاكم وأبو نعيم من حديث ابن عمر، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين.

(٢) رواه أحمد وأبو داود، والحديث صححه ابن حيان.

(٣) رواه أحمد وأبو داود والنسائي ورجال إسناده رجال صحيح.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: «لعن رسول الله ﷺ المتشبهات من النساء بالرجال، والمتشبهين من الرجال بالنساء»[1].

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص أنه رأى امرأة متقلدة قوساً وهي تمشي مشية الرجل، فقال: من هذه؟ فقيل: هذه أم سعيد بنت أبي جهل، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ليس منا من تشبه بالرجال من النساء»**[2].

ففي هذه الأحاديث دلالة واضحة على تحريم تشبه النساء بالرجال، وعلى العكس، وهي عامة تشمل اللباس وغيرها فإذا لبست المرأة زي الرجال فقد شابهت الرجال فتلحقها لعنة الله ورسوله، واللعن لا يكون إلا على فعل محرم، ولزوجها أيضاً اللعنة إذا أمكنها من ذلك أو رضي به ولم ينهها لأنه مأمور بتقويمها على طاعة الله ونهيها عن المعصية لقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا﴾[3].

---

(١) رواه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه.

(٢) أخرجه الإمام أحمد.

(٣) سورة التحريم، الآية: ٩.

وأخرج أبو داود من حديث أبي هريرة قال: أتى رسول الله ﷺ بمخنث قد خضب يديه ورجليه بالحناء، فقال رسول الله ﷺ: **«ما بال هذا؟»** فقالوا: يتشبه بالنساء، فأمر به فنفي إلى البقيع، قيل: يا رسول الله، ألا تقتله؟ قال: **«إني نُهيت أن أقتل المصلين»**.

روى البيهقي أن أبا بكر أخرج مخنثاً وأخرج عمر واحداً.

وقد ثبت أن رسول الله ﷺ قال في المترجلات: **«أخرجوهن من بيوتكم»**[1] (إن من الضروري أن يربى الولد على الرجولة التي تحبها المرأة، والجلد الذي يعينه على تحمل تبعات المجتمع بالدفاع عنه، والعمل على إعانة الأسرة والهيمنة عليهم في التوجيه والتربية، وتربى المرأة على الأنوثة التي يحبها الرجل والحنان والعطف الذي يغمر البيت بالحب والمودة والمحبة، ما يسبب زرع ونشر الحب والود بين أفراد المجتمع كله)[2].

---

(١) ذكره الشوكاني في نيل الأوطار.

(٢) أحمد الشيخ محمد الباليساني، واجب الآباء والأمهات تجاه الأبناء والبنات، مطبعة شفيق، بغداد، ١٩٨٨، ص٢٤٢.

٤ ـ أن لا يكون زينة في نفسه:

الدليل على هذا في كتاب الله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ إذ أنه لم يعين زينة في أي عضو أو ثوب، فإن ذلك يدل صراحة على أن كل عضو قد يكون فيه زينة وفتنة وأن المؤمنة هي التي تقدر ذلك خوفاً من عقاب الله وغضبه.

والزينة هي ما يضفي حسناً وبهجةً[1]، ولا يقتصر ذلك على ما تتحلى به المرأة من الحلي والثياب والجواهر وما تتبرج به من الأصباغ، بل إن الزينة ما خلق الله في جسمها من مفاتن وتناسق.

إن الله قد أنزل هذه الآية وهو يعلم من النساء من تختمر للزينة والفتنة وتتبرج بالخمار، لأنها تديره على رأسها مائلاً ذات اليمين أو ذات الشمال وتحليه ببعض الحلية أو بإرسال خصلات شعرها على جبينها وهذا ما نشاهده كثيراً، ولعل البعض من النسوة المسلمات يفعلن ذلك بحسن نية والله أعلم، أو تجعله على شكل تاج تزيد من جمال وجهها حتى ليكون الخمار نفسه زينة للناظرين عكس ما أراده الله من جعله ساتراً لزينتها وفتنتها.

---

(١) لسان العرب، لابن منظور، ج٣، ص٢٠١ ـ ٢٠٢ وقد جاء فيه: الزينة اسم جامع لما تزين به.

وكذلك فإن المقصود من الجلباب كما أسلفنا والذي ذكره القرآن في آية أخرى هو ستر الزينة، إذ هو كالملاءة تلتحف به المرأة فوق ثيابها وهو رداء ساتر من نهاية العنق إلى القدم.

قال الإمام الذهبي: من الأفعال التي تُلعن عليها المرأة إظهار الزينة والذهب واللؤلؤ تحت النقاب إذا خرجت، ولبسها الصباغات والأُزر الحريرية والأقبية القصار مع تطويل الثوب وتوسعة الأكمام وتطويلها، وكل ذلك من التبرج الذي ورد النهي عنه من الله يُمقت فاعله في الدنيا والآخرة، وأن هذه الأفعال قد غلبت على أكثر النساء، حيث قال الرسول عنهن: **«اطلعتُ على النار فرأيت أكثر أهلها النساء»**[1].

٥ ـ أن لا يكون مطيباً:

إن الأحاديث كثيرة تنهى النساء عن التطيب إذا خرجن من بيوتهن، والدليل على ذلك حديث أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: **«أي امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا من ريحها فهي زانية»**[2]. وعن

---

(١) الألباني، المصدر السابق، ص٣٣.

(٢) رواه النسائي.

أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**أيما امرأة أصابت بخوراً فلا تشهد معنا العشاء الآخرة**»[1].

وعن موسى بن يسار عن أبي هريرة أن امرأة مرت به تعصف به ريحها فقال: يا أمة الجبار، أتريدين المسجد؟ قالت: نعم، قال: وله تطيبتِ؟ قالت: نعم، قال: فارجعي واغتسلي فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من امرأة تخرج إلى المسجد تعصف ريحها فيقبل الله منها صلاة حتى ترجع إلى بيتها فتغتسل**»، ووجه الاستدلال بهذه الأحاديث على ما ذكرنا أن الاستعطاء والتطيب، كما يستعمل في البدن، يستعمل في الثوب أيضاً، فإنه أكثر استعمالاً، وقد أمر الرسول ﷺ بالاغتسال من باب التغليظ وإلا فإن إزالة الرائحة كافية.

أما سبب المنع منه فواضح لما فيه من تحريك داعية الشهوة، وقد ألحق به العلماء ما في معناه كالإفراط في حسن الملبس والحلي الذي يُظهر الزينة الفاخرة، فإذا كان هذا حرصاً على قاصدة المسجد فما يكون الحكم على قاصدة الأسواق التي (أخذت زخرفها وازينت، لسان حالها يقول: ألا تنظرون إلى هذا

---

(١) أخرجه مسلم وأبو عوانة وأصحاب السنن وغيرهم.

الجمال؟ هل من راغب في الوصال؟ إنها تعرض جمالها في الأسواق كما يعرض التاجر المتجول سلعه، وكما يعرض بائع الحلوى ما عنده مزيفاً بالألوان والأوراق اللامعة ليسترعي الأنظار ويغري النفوس ويثير الشهية، فتروج بضاعته ويكثر المشترون ويتهافت الطلاب والجياع النهمون)[1]، لا شك أنه أشد حرمةً وأكبر إثماً.

٦ ـ أن لا يكون لباس شهرة:

وهو كل ثوب يقصد به الاشتهار بين الناس سواء أكان الثوب نفيساً يلبسه تفاخراً وتباهياً بالدنيا، أو خسيساً يلبسه إظهاراً للزهد والرياء، فقيل: إن ثوبه يشتهر بين الناس لمخالفة لونه لألوان ثيابهم فيرفع إليه أبصارهم ويختال عليهم بالعجب والتكبر.

عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَن لبس ثوب شهرة في الدنيا ألبسه ثوب مذلة يوم القيامة»**[2].

والحديث في لبس الثياب التي يقصد منها إلفات أنظار الناس وجذبها نحو الثياب بألوانها المميزة أو

---

(١) حرم الدكتور محمد رضا، المصدر السابق، ص٢٥ ـ ٢٦.

(٢) رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه، ورجال إسناده ثقات.

بطريقة في الحياكة وغيرها وهذا محرم على المسلمات. وكما ذكرنا أن الثوب الإسلامي للمرأة كذلك. قال الشوكاني: قوله: «**ثوب مذلة**»: ثوب يوجب ذلته يوم القيامة. (ويجب أن يعلم أن لبس ثياب الشهرة والخيلاء منهي عنه أيضاً للرجل والمرأة، وهو هنا يتكلم عنه بصفة عامة). كما لبس في الدنيا ثوباً يتعزز به على الناس ويترفع به عليهم.

قال ابن رسلان: لأن لبس الشهرة في الدنيا ليغر به ويفتخر به على غيره، ويلبسه الله يوم القيامة ثوباً يشتهر بمذلته واحتقاره بينهم عقوبة له، والعقوبة من جنس العمل.

ويدل على هذا التأويل الزيادة في رواية أبي داود من طريق أبي عوانه بلفظ: (تلهب فيه النار).

والحديث يدل على تحريم لبس الشهرة، وليس هذا الحديث مختصاً بنفيس الثياب، بل قد يحصل ذلك لمن يلبس ثوباً يخالف ملبوس الناس من الفقراء (أي من عامتهم) ليراه الناس فيتعجبوا من لباسه فيقدروه.

قال ابن رسلان: وإذا كان اللبس لقصد الاشتهار في الناس فلا فرق بين رفيع الثياب ووضيعها، والموافق لملبوس الناس والمخالف، لأن التحريم يدور مع الاشتهار والمعتبر القصد وإن لم يطابق الواقع.

عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يدخل الجنة من كان في قلبه ذرة من كبر»** فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً، قال: **«إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس»**(١).

قوله: **«بطر الحق»**، هو دفعه، وفي القاموس: بطر الحق أن يتكبر عنده فلا يقبله، وقوله: **«وغمط الناس»**، أي: احتقارهم.

وخلاصة لبس ثياب الشهرة أن الفصل فيها النية وأن المحاسب هو الله الذي لا يخفى عليه دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء ولا يغرب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

وهكذا نخلص إلى القول: إن الشروط الواجب توافرها في الحجاب الإسلامي(٢) ألا يكون الثوب نفسه زينة وهذا مفهوم قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾.

---

(١) رواه أحمد ومسلم.

(٢) محمد متولي الشعراوي، الفتاوى، ص٥٤٦ ـ ٥٤٧، دار الندوة الجديدة، بيروت.

وأن يكون صفيقاً لا رقيقاً لقول الرسول ﷺ: **«سيكون آخر أمتي نساء كاسيات عاريات على رؤوسهن كأسنمة البخت إلعنونهن فإنهن معلونات»**.

وألا يكون مجسداً لهيئة الجسم، وكذلك ألا يكون معطراً مبخراً، لقوله ﷺ: **«أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية»**.

كما أنه يجب ألا تتشبه المرأة بالرجال لقوله ﷺ: **«ليس منا من تشبه بالرجال من النساء ولا من تشبه بالنساء من الرجال»**.

كذلك ألا تشبه زي الكافرات لأن المسلمين مطالبون في كثير من آيات القرآن الكريم ألا يتبعوا أهواء الكفار.

كذلك ألا يكون ثوب شهرة لقول سيدنا رسول الله ﷺ: **«من لبس ثوب شهرة في الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة ثم ألهبه فيه ناراً»**.

بعد أن انتهينا من ذكر شروط الحجاب وآدابه يتبادر إلى ذهن الكثير منا سؤال: ما هو شكل الحجاب أهو عباءة تلتحف بها المرأة فوق ثيابها أو ربطة تغطي الرأس وفستان يستر الجسد؟

أجيب فأقول: إن للمرأة المسلمة أن تساير العصر في اختيارها للباس الذي تراه مناسباً على ضوء الواقع والحاضر على أن لا يؤدي هذا الاختيار إلى مخالفة الأحكام الشرعية التي ورد ذكرها في كتاب الله وسنَّة رسوله والتي تقدم الحديث عنها.

إبداء الزينة

قال تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾(١).

فالأشخاص الذين تبدي المرأة زينتها لهم هم:

١ ـ الزوج يرى الزينة من المرأة، إذ كل محل من بدنها حلال له لذةً ونظراً، ولهذا بدأ بالبعولة لأن إطلاعهم يقع على أعظم من هذا، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ

---

(١) سورة النور، الآية: ٣١.

﴿هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦﴾[1].

٢ ـ بدأ الله تعالى بالأزواج وثنّى بذوي المحارم وسوّى بينهم في إبداء الزينة ولكن تختلف مراتبهم، فهذا يشمل الآباء وآباء الآباء، سواء أكانوا من جهة الأم أو من جهة الأب مهما علوا.

٣ ـ آباء الأزواج، وكذلك يتضمن آباء وآباء الآباء للزوج من جهة الأم ومن جهة الأب.

٤ ـ أبناء النساء، ويدخل معهم الأبناء الصلبيون المباشرون وغير المباشرين كابن الابن وابن البنت، مهما نزل.

٥ ـ أبناء الزوج، ويدخل معهم أولاد الأولاد وإن نزلوا من ذكرٍ كانوا أو إناثٍ كبني البنين وبني البنات.

٦ ـ الأخوة، يدخل في ذلك الأخوة الأشقاء والأخوة لأب والأخوة لأم دون استثناء.

٧ ـ أبناء الأخوة، ويدخل فيه أولاد جميع الأخوة سواء كانوا أشقاء أم لأب وأم لأم مهما بعدوا.

---

(١) سورة المؤمنين، الآيتان: ٥، ٦.

٨ ـ أبناء الأخوات، وهذا يشمل جميع أولاد الأخوات مهما نزلوا.

٩ ـ نساؤهن، وهن النساء المسلمات ويخرج منها النساء المشركات، فلا يحل لامرأة مؤمنة أن تكشف شيئاً من بدنها بين يدي امرأة مشركة، فليس للمرأة المسلمة أن تتجرد بين نساء أهل الذمة ولا أن تبدي للكافرة إلا ما تبدي للأجانب، فقد ورد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه: أنه بلغني أن نساء أهل الذمة يدخلن الحمامات مع نساء المسلمين فامنع ذلك وحِلْ دونه، فإنه لا يجوز أن ترى الذمية عورة المسلمة لئلا تصفها لزوجها.

١٠ ـ العبيد والإماء، قال ابن عباس: لا بأس أن ينظر المملوك إلى شعر مولاته، أما الشعبي فيكره أن ينظر المملوك إلى شعر مولاته. وذكر أبو داود عن أنس أن رسول الله ﷺ أتى فاطمة بعبد قد وهبه لها، وكان على فاطمة ثوب إذا غطت به رأسها لم يبلغ رجليها، فلما رأى النبيّ ﷺ ما تلقى من ذلك قال: «**إنه لا بأس عليكِ إنما هو أبوكِ وغلامكِ**»[(١)].

١١ ـ التابعين غير أولي الإربة من الرجال، أي

(١) تفسير القرطبي، ج٢، ص٢٣٤.

غير أولي الحاجة، واختلف الناس فقيل: هو الغين، وقيل: الخصي، وقيل: المخنث، وقيل: الشيخ الكبير والصبي لم يبلغ، وقسم قال: هو الأحمق الذي لا حاجة له بالنساء، وقيل: الأبله، وقيل: الرجل يتبع القوم فيأكل معهم ويرتفق بهم فهو ضعيف لا يكترث بالنساء ولا يشتهيهن. فهذا الاختلاف كله متقارب المعنى ويجتمع فيمن لا فهم له ولا همة ينتبه بها إلى أمر النساء.

١٢ ـ الأطفال الذين لم يطلعوا على عورات النساء، ولم يطلعوا معناها لم يكشفوا على عوراتهن للجماع لصغره، أي الطفل الذي لم يراهق الحلم ولا يعرف شيئاً عن أحوال النساء لصغره.

بعد أن ذكرنا الأشخاص الذين أجاز الشارع الحكيم للمرأة أن تبدي زينتها لهم، لا بد لنا من عودة إلى الحديث عن أهم القواعد العامة التي وضعها الإسلام للزينة وكيفية معالجته لبعض القضايا القديمة والمستحدثة في هذا الموضوع فنقول[1]:

---

(١) انظر حيدر قفه، همسات إلى الصحوة الإسلامية، ص٧٦ ـ ٩٠، ط١/١٤٠٨هـ، المكتب الإسلامي، بيروت، إبراهيم محمد الجمل، فقه المرأة المسلمة، ص٦٠ ـ ٧٣، ط١/١٩٨٣، دار بو سلامة، تونس.

الأولى: كل ما يؤدي إلى النعومة والطراوة من شأن النساء ولا يجوز للرجال، ويحارب الرجل الذي يتزيا بهذا، من أجل ذلك حرم على الرجال الذهب والحرير... إلخ. وسبب ذلك أن الإسلام لعن الرجل الذي يتشبه بالنساء، حتى تبقى الفطر سليمة فلا يعتريها شذوذ ولا انحراف.

الثانية: كل ما يؤدي إلى تشبه بالكفار وأهل الكتاب لا يقره الإسلام، من أجل أن تبقى هذه الأمة صافية العقيدة متميزة السلوك، فمنع الرجال والنساء على السواء من التشبه بهؤلاء.

الثالثة: محاربة التطرف بمعناه الواسع، وهو أقصى اليمين أو أقصى الشمال، أي محاربة الإسراف الزائد المبالغ فيه، كما حارب التقتير الزائد المبالغ فيه، لأن الإسلام دين الوسطية والاعتدال.

من خلال هذه القواعد الثلاث ننظر إلى زينة المرأة وموقف الإسلام من بعض القضايا القديمة والمستحدثة في هذا الموضوع، ومنها ما يأتي:

١ ـ **موضوع الشعر**: فلا مانع من قصه وتقصيره بأي شكل أنثوي، لأن النهي ورد في وصله لا في تقصيره، ففي حديث ابن عمر رضي الله عنه: إن

النبيّ ﷺ قال: «**لعن الله الواصلة والمستوصلة، والواشمة والمستوشمة**»(١). وفي صحيح مسلم من حديث أبي سلمة بن عبدالرحمٰن «وكان أزواج النبيّ ﷺ يأخذن من رؤوسهن حتى تكون كالوفرة»(٢) أي يأخذن من شعر رؤوسهن ويخففن من شعورهن حتى تكون كالوفرة، وهي من الشعر ما كان إلى الأذنين ولا يجاوزهما(٣)، شريطة ألا يشبه ـ بعد التقصير ـ شعر الرجال، أو يكون تقليداً لغير المسلمات، للنهي عن ذلك، ولا يفعل لها ذلك رجل (كوافير) أو امرأة غير مسلمة.

أما لبس (الباروكة) فحرام، لأنه تزوير، ويدخل في باب الوصل، وللنهي الصريح فيها، ففي حديث معاوية رضي الله عنه أنه عام حجٍّ تناول قصة من شعر (وهو على المنبر) وكانت في يدَيْ حرسي، فقال: يا أهل المدينة أين علماؤكم؟ سمعت النبيّ ﷺ ينهى عن مثل هذه ويقول: «**إنما هلكت بنو إسرائيل حين اتخذها نساؤهم**»(٤)، وفي رواية سعيد بن المسيب: «إن النبيّ ﷺ

---

(١) متفق عليه، مشكاة المصابيح، ج٢، ص٤٩٣، حديث رقم ٤٤٣.

(٢) صحيح مسلم ج١، ص٢٥٦، حديث رقم ٤٢.

(٣) من تعليق الشيخ محمد فؤاد عبدالباقي (رحمه الله) شارح صحيح مسلم.

(٤) متفق عليه، اللؤلؤ والمرجان، ص٥٢٢، حديث رقم ١٣٧٨.

سماه الزور»[1].

وأما صبغ الشعر فجائز، وبأي لون يناسبها ويناسب سنها، ما لم يؤدِّ إلى ضرر مادي في الشعر نفسه أو معنوي في حياتها وعلاقتها بمن حولها، في ظل القواعد الأساسية الثلاث التي ذكرناها سابقاً لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: «**إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم**»[2]، فإن قال قائل: إن الأصباغ الآن تأتينا أصلاً من بلاد النصارى واليهود، فالرد عليه بحديث كريمة بنت همام: أن امرأة أتت عائشة رضي الله عنها فسألتها عن خضاب الحناء فقالت: لا بأس به، وعللت كراهيتها له بأن النبيّ ﷺ كان يكره ريحه لا لونه[3]، فيبقى الأمر على إباحته.

٢ ـ **حف الوجه وإزالة الشعر من بقية الجسد**: إن حف الوجه هو إزالة ما عليه من شعر سواء بالخيط أو النورة (مواد كيميائية تزيل الشعر)[4] أو الحلاوة

---

(١) فتح الباري، ج١، ص٣١٠.
(٢) فتح الباري، ج١، ص٣١٠.
(٣) متفق عليه، اللؤلؤ، ٥٤٦، حديث رقم ١٣٦٢.
(٤) رواه أحمد وأبو داود والنسائي، مشكاة المصابيح، ج٢، ص٤٩٨، حديث رقم ٤٤٦٥، ونيل الأوطار للشوكاني، ج٦، ص١٩٣، حديث رقم ٩.

(العقيدة) أو الشمع أو النقاش (الملقاط) وهو ما يعرف بالنتف، فجائز ولا حرج فيه، لأن النص الوارد في حديث ابن مسعود: **«لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للمسن المغيرات خلق الله»**[(١)]. وقد قصره البعض على الحاجبين - كما سيأتي بعد - ودليل هذا ما أخرجه الطبري من طريق أبي إسحاق عن امرأته أنها دخلت على عائشة وكانت شابة يعجبها الجمال فقالت: المرأة تحف جبينها لزوجها؟ فقالت: أميطي عنك الأذى ما استطعتِ[(٢)]. وقد سئل الإمام أحمد عن الحف فقال: «ليس به بأس للنساء، وأكرهه للرجال»[(٣)].

أما ترقيق الحواجب فقد اختلفت الروايات في تحديد مفهوم كلمة (نمص) هل هي عامة للوجه كله أم خاصة بالحاجبين؟ ففي لسان العرب: النمص رقة الشعر ودقته حتى تراه كالزغب، ورجل أنمص الحاجب، وربما كان أنمص الجبين، والنمص نتف الشعر، وتنمصت المرأة أخذت شعر جبينها بخيط لتنتفه. وقال الراجز: (ونمص حاجبيها تنميصاً) قال الفراء: النامصة

---

(١) متفق عليه، المشكاة ج٢، ص٤٩٣، حديث رقم ٤٤٣١.
(٢) نقله العسقلاني في الفتح، ج١، ص٣١٠.
(٣) المغني، ج١، ص٧٥.

التي تنتف الشعر من الوجه[1].

قال العسقلاني في الفتح (جـ١، ص٣١٠): (ويقال: إن النماص يختص بإزالة شعر الحاجبين لترفيعهما أو تسويتهما. قال أبو داود في السنن: النامصة التي تنقش الحاجب حتى ترقه، ذكر فيه حديث ابن مسعود الماضي).

وقال صاحب المغني (جـ١، ص٧٧): (فأما النامصة فهي التي تنتف الشعر من الوجه، والمتنمصة المنتوف شعرها بأمرها فلا يجوز، وإن حلق الشعر فلا بأس لأن الخبر إنما ورد في النتف، نص على هذا أحمد).

والملاحظ أن النصوص التي جعلت مفهوم الكلمة تعم الوجه، كانت استشهاداتها في موضع الحاجب، مما يفهم منه أن الأمر محصور في هذه النقطة ذاتها. واستخدام صاحب القاموس لصيغة التقليل بكلمة (ربما) والعسقلاني لصيغة التضعيف والشك بكلمة (يقال) توحيان بعدم ضبط القضية والتأكد منها، مما حدا بالإمام أحمد ـ رحمه الله ـ إلى تجويز الحلق (بالموس أو الشفرة أو المقص)، لأن النص في النتف لا في الحلق،

---

(١) لسان العرب، المجلد ٣، ص٧٢٢.

ولعل المخرج من هذه القضية أن نتف الحاجبين وترقيقهما حرام لنص الحديث، إلا أنه إن كان هناك ضرر كأن تكون المرأة قرناء تتأذى باتصال حاجبيها فحلق ما بينهما رفعاً للحرج والضيق، لقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[1]، وقول النبيّ ﷺ: «**لا ضرر ولا ضرار**»، وكثيراً ما كان الضرر النفسي أبلغ وأنكى من الضرر الجسدي.

أما إزالة الشعر من بقية الجسد فمن سنن الفطرة، لحديثَيْ أبي هريرة وأنس بن مالك رضي الله عنهما المتقدمَيْن، وكان رسول الله ﷺ ينهى الغائب (المسافر) أن يتعجل الدخول على أهله حتى تستعد زوجته لاستقباله، ومن استعدادها تنظيف جسدها، ومنه العانة، ففي حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: قفلنا مع النبيّ ﷺ من غزوة، فلما ذهبنا لندخل قال: «**امهلوا حتى تدخلوا ليلاً** (أي عشاء) **لكي تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة**»[2].

أما بقية الجسد كالذراعين والساقين وغيرهما من المواضع الخفية، والتي لم نذكرها سابقاً، فلها أن تزيل

(١) سورة الحج، الآية: ٧٨.

(٢) متفق عليه، اللؤلؤ والمرجان، ص٥٠٠، حديث رقم ١٢٥٣.

شعرها منها بأي طريقة شاءت، لحديث عائشة المتقدم «أميطي عنك الأذى ما استطعت»، وهذه الأمور كلها تحببها إلى زوجها وتجعلها محظية عنده، لأنها توافق الفطرة، فالرجل يحب النعومة في امرأته، وهي تحب الخشونة فيه.

٣ ـ **تطريف الأظافر وصبغها**: أما صبغ الأظافر بالألوان فلم يرد نص يمنعه، بل روى أبو داود والنسائي عن عائشة رضي الله عنها قال: (أوْمَتْ: أشارت) امرأة من وراء ستر، بيدها كتاب، إلى رسول الله ﷺ، فقبض النبيّ ﷺ يدها فقال: **«ما أدري أيد رجل أم يد امرأة؟»** قالت: بل امرأة، فقال: **«لو كنتِ امرأة لغيّرتِ أظفاركِ»** يعني بالحناء[1].

وطالما أنه لم يرد نص بالمنع، فلا حرج على المرأة من صبغ أظافرها، ولكن العلماء الذين يعترضون على ذلك إنما يعترضون من زوايا ثلاث:

الأولى: أن بعض النساء تطيل الأظافر، وهذا مخالف لسنّة النبيّ ﷺ، ومنهي عنه، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: **«الفطرة خمسة ـ أو ـ خمس من الفطرة: الختان**

---

(١) المشكاة، ج٢، حديث رقم ٤٤٦٧.

والاستحداد ونتف الإبط وتقليم الأظافر وقص الشارب»[1].

وفي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «وقّت لنا رسول الله ﷺ في قص الشارب، وتقليم الأظافر، ونتف الإبط، وحلق العانة، أن لا نترك أكثر من أربعين ليلة»[2].

الثانية: إنها تصبغ أظافرها بمادة (المانوكير) وهي مادة شمعية أو بلاستيكية عازلة لوصول الماء إلى البشرة، مما لا يصح مع وجودها وضوء وبالتالي لا تصح الصلاة[3].

والثالثة: إنه تغيير لخلق الله، وتشبُّه بالكافرات، ومخالف لسنن الفطرة. وهي أمور منهي عنها[4].

وبعض هذه الحجج تسقط إذا زال المانع، وذلك بعدم إطالة الأظافر وتدبيبها وعدم استخدام

---

(١) متفق عليه، اللؤلؤ والمرجان، ص٢٩، حديث رقم ١٤٥.

(٢) رواه مسلم وابن ماجه، ورواه أحمد والترمذي والنسائي وأبو داود، نيل الأوطار ج١، ص١١٠.

(٣) للدكتور القرضاوي في فتاوى معاصرة، ص٣٩٢.

(٤) الشيخ الألباني في آداب الزفاف، ص١١٦، طبع المكتب الإسلامي.

المواد الشمعية البلاستيكية الحائلة لوصول الماء (فإن فعلته بالحناء أو مادة أخرى جاز)، وهذا واضح من حديث عائشة رضي الله عنها. أما أنه تغيير خلق الله فقد كفانا مؤنة الرد العلماء الذين قالوا في الكحل والحناء والأصباغ، (فأما ما لا يكون باقياً كالكحل ونحوه من الخضابات فقد أجازه مالك وغيره من العلماء)[1].

وأما التشبه بالكافرات فهذا مداره على النية، وقضية التشبه قضية نسبية تتغير بتغير الزمن والعادات، فقد يحكم بها في زمن ولا يحكم بها بعد مئة سنة لانتشارها في البيئة نفسها، ولذا نقول: لو أن المرأة لم تُطِل أظافرها وصبغتها بمادة لا تمنع وصول الماء لبشرتها لجاز لها ذلك.

وأريد أن أهمس في أُذن المرأة هنا أن إطالة الأظافر - غير أنها مخالفة لسنّة النبيّ ﷺ - فهي دليل أيضاً على أن صاحبتها ليست (ست بيت) مهما ادعت ذلك وزعمت، لأن سيدة البيت الماهرة تمارس عملها بيديها، ولا بد والحالة هذه من أن تتكسر أظافرها، ولذا لا تبقى ولا تطول. هذا من جانب، ومن جانب

---

(١) نيل الأوطار ج٢، ص١٩٣.

آخر وجود الأظافر الطويلة يدل على عدم نظافة المرأة، لأن المسلمة التي تريد الطهارة لا بد أن تنقي أسفلها من البول والغائط (البراز) وهذا لا يستقيم بوجود الأظافر الطويلة، وبالتالي لا ينقى المحل تماماً، وقد تحمل الأظافر الطويلة تحتها شيئاً من النجو (البراز) وهي نجاسة، ومن جانب ثالث أن الأظافر الطويلة تدخل تحتها الأوساخ والرفغ (وهي القذارة التي تكون في مواضع تجمُّع العرق في الجسد كالإبطين وما بين الأنثيين والفخذين) عند حكها، وبالتالي تصبح موطناً صالحاً لتكاثر الجراثيم، فكيف يستقيم لها إعداد طعام أسرتها أو حتى تتناول هي طعامها؟

▮ ـ **العقود والأساور والأقراط (والبروشات والإكسسوارات عموماً)**: وهذه كلها مباحة لها، سواء أكانت ذهباً أو فضة أو لؤلؤاً أو عقيقاً أو زمرداً أو ياقوتاً أو ماساً أو خرزاً أو أي نوع من أنواع الحلي المصنّعة حديثاً من الزجاج أو البلاستيك، طالما أنها في حدود الاعتدال المنسجم والمتفق مع وضعها الاجتماعي الذي يختلف من واحدة إلى أخرى، فما كان في حدود ما تلبس مثيلاتها فلا سرف فيه. قال ابن قدامة في المغني: «ويباح للنساء من حلي الذهب والفضة والجواهر كل ما جرت عادتهن بلبسه مثل السوار والخلخال والقرط والخاتم، وما يلبسنه على وجوههن وفي أعناقهن

وأيديهن وأرجلهن وآذانهن وغيره»[1].

والأصل في حل الذهب ما ورد في حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبيّ ﷺ أخذ حريراً فجعله في يمينه، وأخذ ذهباً فجعله في شماله، ثم قال: «**إن هذين حرام على ذكور أمتي**»[2].

وفي حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: «**أُحِلَّ الذهب والحرير للإناث من أمتي وحُرِّم على ذكورها**» يستوي في ذلك المحلق وغير المحلق.

وفي الفضة، حديث عائشة رضي الله عنها: دخل علي رسول الله ﷺ فرأى في يدي فتخات من ورق فقال: «**ما هذا يا عائشة؟**» فقلت: صنعتهن أتزين لك يا رسول الله... إلخ الحديث[3]. والفتخات خواتيم كبار كان النساء يتحلين بها، وموضع الشاهد فيه:

---

(١) المغني، ج٢، ص٦٠٩.

(٢) رواه أحمد وأبو داود والنسائي، وهو حديث صحيح، المشكاة ج٢، ص٤٨٥، حديث رقم ٤٣٩٤.

(٣) رواه أبو داود (واللفظ له) والدارقطني والحاكم والبيهقي، قال الحافظ في التلخيص: إسناده على شرط الصحيح. فقه الزكاة للدكتور القرضاوي، ج١، ص٢٨٨.

«أتزين لك» ولم يرد نص في سائر الجواهر فتبقى على الأصل وهو الحل.

■ **ـ الروائح الطيبة والدهانات**: ولها أن تتعطر بالروائح الطيبة وتدَّهن بالزيوت المعاجين (الكريمات) التي تطري الجلد وتنعِّمه ما لم يدخل في تركيبها محرم كخمر ودهن خنزير من غير إسراف، ولا الخروج به إلى الشارع، أو تعمُّد المرور على الرجال الأجانب ليشمُّوا ريحها، ففي حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كنت أطيِّب النبيّ ﷺ عند إحرامه بأطيب ما أجد»[1]، وحديث أبي موسى رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: «**كل عين زانية، والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس كذا وكذا**» يعني زانية[2]. وفي رواية للنسائي وابن خزيمة وابن حبان: «**أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية، وكل عين زانية**»[3].

ومما لا شك فيه أنه كان يصيب يدَي السيدة

---

(١) رواه البخاري، فتح الباري، ج١٠، ص٣٠٤.

(٢) رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح. الترغيب والترهيب ج٣، ص٨٤.

(٣) ورواه الحاكم أيضاً وقال صحيح الإسناد، الترغيب والترهيب ج٣، ص٨٥.

عائشة رضي الله عنها من طيب النبيّ ﷺ، وكذلك الخلوق الذي تضعه النساء فيه طيب رائحة كما قدمنا سابقاً، وطيب رائحة المرأة يقربها إلى زوجها ويجعله لا ينفر منها.

وبعد، كما تبين لنا سابقاً الزينة مطلوبة من المرأة في حدود الاعتدال دون إسراف وإغراق شغل وقتها حتى تتعبد لجسدها فتظل عليه عاكفة وأمام المرآة واقفة، ولا إهمال يشينها فينفر الزوج أو تتطلع نفسه إلى غيرها.

فائدة:

تزيُّن المرأة لزوجها وكذا الرجل لزوجته، ينبغي أن يتخذ الزوجان منه الحظ المناسب المعقول، لأنه من أسباب السعادة، ولهذا جعل الشارع الزينة حقاً مشروعاً لكل منهما على صاحبه.

فالمرأة يجب عليها أن تتزين لزوجها، ومن حقه عليها أن تفعل، وذلك مما يُشعر الرجل باتجاهها نحوه، فيعيرها انتباهه وإكرامه، ولكن أكثر الزوجات الآن لا تلبث بعد الأشهر الأولى من الزواج أن تنهمك في أعمال البيت وتولي شطر المطبخ كل عنايتها وتبذل في أثاث المنزل وجدران البيت غاية وسعها حتى تنصرف

من حيث لا تشعر عن الاحتفاء بزوجها في الملبس أو الزينة، وإن كانت لا تغفل عن هذا الاحتفاء لاستقبال أترابها أو لزيارتهم، وهذا من عوامل نفرة الزوج وسخطه، إذ يجد زوجته قد تحولت وتقمصت شخصية الخادم التي تحس أن واجبها منحصر في خدمة البيت دون العناية بصاحب البيت (الزوج).

كذلك ينبغي للرجل أن يتزين لزوجته بما يتناسب مع رجولته، كما يحب أن يرى امرأته تزدان له أيضاً فإنه يعجبها منه ما يعجبه منها، وقد فهم السلف ذلك من قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[1].

قال ابن عباس رضي الله عنه: «إني لأتزين لامرأتي كما تتزين لي لهذه الآية»[2].

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٨.

(٢) د. نور الدين زعتر، ماذا عن المرأة، ص٩١ ـ ٩٢، ط١، ١٣٩٠هـ، مكتبة الهدى، حلب.

أقوال لا رصيد لها

كثيرة هي الادعاءات والدعوات الضالة التي نسمعها بين الحين والآخر لتبرير عدم الالتزام بالحجاب الإسلامي بشروطه التي تحدثنا عنها آنفاً والدعوة إلى التبرج والسفور، وفي الصفحات القادمة نحاول الرد على هذه الادعاءات والدعوات وتفنيدها[1]، ونبدأ أولاً بالادعاءات والتي منها: زعم إحداهن بأنها تتبرج لتكون كبقية الناس حتى لا تمتاز عن غيرها بالاحتشام الذي يستلفت إليها الأنظار، ويحوطها بالتهكم ونظرات السخرية والاحتقار، كيف لا تخجل من أن تجهر بالفسق والعصيان وتخجل من أن تجهر بالتقوى والإيمان؟ قال ﷺ: **«الحياء والإيمان قرنا جميعاً فإذا رفع إحداهما رفع الآخر»**، فيا للعجب، أتخجل مما

---

(١) انظر حرم الدكتور محمد رضا، المصدر السابق، ص٣٩ - ٥٤، وجمال محمد الباجوري، المصدر السابق، ص٢٢٢ - ٢٢٦.

يشرف ولا تخجل بل وتفتخر بما يحقر؟ أتفسق مع من فسق لتكون مثلهم فلا يسخروا منها؟ أتسرق مع من سرق لئلا يسخر منها اللصوص؟ أتظلم لئلا يسخر منها الظالمون؟

فأين هي من فاطمة الزهراء وعائشة وبقية زوجات الرسول ﷺ وزوجات الصحابة رضي الله عنهم أجمعين؟ إنهن المثل الأعلى لنا ولم نقلدهن في شيء وأصبحنا لا ننطق بالشهادة ولا نؤدي فرائض الله الأخرى، فكيف إذن نطلق على أنفسنا (مسلمين)؟

إن الاحتشام لا يمنع الأناقة ولا يدعو إلى التهكم، قد يكون التبرُّج أدعى إلى السخرية وقد يكون الاحتشام في أناقة لا يمكن للتبرُّج أن يجاريها، فاتبعي سبيل المؤمنين الأبرار ودعيهم يتبعوا سبيل الضالين الأشرار ولا تبالي بنظرات السخرية والاستهتار وقولي كما قال نوح عليه السلام: ﴿إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ آية[١].

---

(١) سورة هود، الآيتان: ٣٨، ٣٩.

وما أروع ما قاله الشاعر خضير عمر عبد[1]:

يا أخت لا تقلقي من قول أفاك
إياك من فتنة العذال إياك
إياك ممن تكيل العذل في سمج
تقول إن يسفري بالعز بشراك
ترى السفور سبيل الانعتاق فلا
تصغي إلها ولا العذل أغراك
تمسكي بكتاب الله سالكة
درب النجاة إلى آفاق أخراك
تعطري بهدي المختار سيدنا
محمد المصطفى في كل مسعاك
ترسمي سيرة الزهراء واكتحلي
نور الشريعة في ديجور دنياك
تمسكي بعرى الإسلام راسخة
ولتدمن البر والإحسان كفاك
كوني على العهد ـ عهد الله ـ لا تهني
لا تحزني... إن عين الله ترعاك

---

(١) خضير عمر عبد، مجلة التربية الإسلامية، العدد الثاني عشر، السنة التاسعة والعشرون، ذو الحجة ١٤٠٨هـ، ترسمي سيرة الزهراء، ص٦٢.

سيري ـ كما سارت الخنساء ـ قاصدة
وجه الكريم الذي باليمن وافاك
ووحدي الدرب نحو الله وانتبهي
فإنما الدرب محفوف بأشواك
هو اختبار فيا أختاه استبقي الـ
خيرات.. ولتعمر التقوى سجاياك
لا موضة الفسق ـ أختاه ـ مقدمة
شبراً ... ولكنها باب لإشراك
ولا التبرج و(المكياج) يرفع من
بنات حواء ... إن رميته أغواك
يجمل الفم بالآي الكريم وبالأ
ذكار والصلوات بعد مسواك
هذا الجمال وهذا النور فاقتبسي
وليطفح اليوم بالبشرى محياك

والتي تزعم أنها تتبرج إرضاءً لزوجها وتخرج متزينة طاعة لأمره، أغاب عنها قول الرسول ﷺ: «**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**» و«**لا طاعة إلا في معروف**»؟ فهل هذا معناه إن طاعة الزوج تجب قبل طاعة الله ورسوله؟ كيف تعصي ربك الخالق لترضي زوجك الفاسق؟ فأيهما أولى بالطاعة والمشيئة؟ تبررين

فسوقك بزعم أنك تخافين أن يهجرك إلى غيرك أو يطلقك فتحرمين أولادك وسعادتك؟ فهل هذه السعادة البيتية الوقتية أهم وأعظم من سعادة الجنة الأزلية؟ قال الله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾[(١)].

وكم غرّ الشيطان المتبرجات زاعماً لهن أنهن لا يزلن في ميعة الشباب وزهرة الصبا ولم يحن وقت الاحتشام، كأن الخمار جُعل لستر الشيب والشيخوخة لا لستر الجمال والزينة، مع أن الله تعالى يأمر بعكس ذلك في قوله جلّ جلاله: ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾[(٢)] أي إذا وصلت إلى سن الشيخوخة بحيث قعدت عن الزوجية ولا تفتن العيون بشعرها الأشيب ووجهها المجعد، فلا حذر من ظهورها كذلك، ولكن كلما كانت المرأة صغيرة

(١) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

(٢) سورة النور، الآية: ٦٠.

وجميلة كانت أدعى للفتنة، فيجب عليها ستر هذا الجمال والشباب عن أعين الشرهين الفاسقين وعن أعين المؤمنين الذي تقع أنظارهم عليها ويخشون الله ويعلمون أنه لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

وهل تضمن المرأة حياتها لتؤجل توبتها في مرحلة أخرى من عمرها ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾(١). فاغتنمي شبابك قبل هرمك وأعلني توبتك إلى الله والزمي حدوده.

واللائي يدّعين أن الحجاب دَفْن للمرأة تحت خيمة سوداء، بحيث لا تشم هواءً ولا ترى شمساً، وعزلاً لها عن مجتمعها، هن أكثر الناس جهلاً أو تجاهلاً بمقاصد الشريعة الإسلامية السمحاء (فالإسلام لا يريد من الحجاب دفن المرأة وإنما يريد منها فقط أن تحفظ جسدها من الحرام وتلبس الملابس الطبيعية والاعتيادية كما هو عند الرجل (مع اختلاف الواقع بينهما) تكرم جسمها ولا تحقره وتصون عرضها فلا تهتكه وتغطي جسمها بشكل مقبول بحيث يحفظها من برد الشتاء وحر الصيف ونظر المسمومين)(٢) حتى لا

---

(١) سورة لقمان، الآية: ٣٤.

(٢) أحمد الشيخ محمد الباليساني، نظرة إلى المرأة والرجل في الإسلام، مطبعة العاني، بغداد ١٤٠٦هـ، ١٩٨٥م، ص٢٠.

تسمع ما يخجلها ويؤذيها، لأنها تشبهت بمن لا كرامة لهن، ولم تتعزز وتتحصن بوقار الاحتشام.

ويظن الكثير من الآباء والأمهات أن تبرج بناتهم واستعراض جمالهن يعجل بزواجهن، فيعرضون لذلك بناتهم كما يعرض التاجر سلعه للبيع، لترمقهن الأعين وتتبعهن وتتفحصهن بالنظرة تلو الأخرى، وليسمعن قبيح الكلام من مرضى النفوس، ولم يفطن هؤلاء الآباء والأمهات إلى أن الذي يطلب الزواج بإبنتهم لجمالها ولا يستنكر تجردها من الحياء والاحتشام وخروجها عن آداب الإسلام، فهو رجل فاسق شهواني يبحث عن جسم جميل خليع ليتمتع، ولا يعبأ ولا يبحث عن قلب سليم تقي ليسعد، فلن يكون هذا الرجل زوجاً صالحاً.

(إن واجب الآباء والأمهات يحتم عليهم اختيار الأزواج الصالحين الأتقياء لبناتهم. سأل رجل الحسن رضي الله عنه عمن يزوج ابنته؟ فقال: (عليك بصاحب الدين فإنه إذا أحبها أكرمها وإن أبغضها لم يهنها)، وقال رسول الله ﷺ: «**إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فانكحوه إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير**»، قال: يا رسول الله، وإن كان فيه؟ قال: «**إذا جاءكم من ترضون دينه فأنكحوه**» ثلاث مرات[1]. لأن في ذلك

---

(١) رواه الترمذي.

راحة لبناتهم، فإن قلة المال ظل زائل وأمر حائل، وما حال المرأة مع فاسق يكون فسقه سبب لتضييق رزقه عليه في الآتي، فيتبدد ماله وينكشف حاله وتسوء عشرته لأهله، فيقع النزاع، وتغدو الحياة البيتية مرة نكدة لا هناءة فيها ولا راحة، ويكون الأب جانياً على ابنته إذا قذف بها إلى ذي مال غير متدين طمعاً في حطام فان وسعة زائلة)[1].

في حين أن المسلم لا يقدم على اختيار زوجة إلا ذات دين ووقار وحشمة، عن أنس رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: «**من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله إلا ذلاً، ومن تزوجها لمالها لم يزده الله إلا فقراً، ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله إلا دناءة، ومن تزوج امرأة لم يرد بها إلا أن يغض بصره ويحصن فرجه ويصل رحمه بارك الله له فيها وبارك لها فيه**»[2]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**تنكح المرأة لأربع: لمالها وحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك**»[3].

---

(١) الشيخ محمد الحامد، رحمة الإسلام بالنساء، مكتبة المنار، الأردن ـ الزرقاء، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م، ص٢٩.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط.

(٣) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه.

وهناك من تزعم بأن ليس كل متحجبة طاهرة، فرُبَّ باغية سترت فجورها بمظهر تقواها وعلى فرض وجود هذه الحالة، لأن المرأة التي لم يكن عندها عفة تردعها أو فضيلة تزجرها فلا يفيدها تحجبها، فما كان للثياب أن تنسج لها عفة مفقودة ولا أن تخلق لها استقامة معدومة، ولكن هل يدعونا ذلك إلى التخلي عن أمر إلهي وجب الالتزام به؟ ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾[1].

فهذه الظالمة لنفسها التي عرفت الحق ورأت نوره فأغمضت عينيها وأشاحت بوجهها عن هذا النور ونأت عنه لتظل في الظلام باختيارها، قد غلبت شهوتها على إرادتها، وطغى هواها على تقواها، حيث نرى بالمشاهدة في الطرقات والأماكن العامة أنه كلما ازداد إغراء المرأة بتبرجها وإظهار مفاتنها ازدادت معابثة الفسّاق ومضايقتهم لها، وكثرت حولها الحركات والإشارات المنافية للغيرة والآداب السليمة، وكلما احتشمت المرأة وتسترت ازدادت بُعداً وسلامةً عن المراودة والمعابثة من قبل مرضى النفوس.

ومن النساء من تزعم أنها كبيرة في السن فلن

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.

ينظر إليها رجل، وفي الوقت نفسه تتصابى وتتبرج وتحاول ما استطاعت أن تُصلح ما أفسده الدهر. وهي ليست من القواعد كما تدّعي، الذين ورد ذكرهم في قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾[1]، والمراد من القواعد: النساء اللاتي تقدمت بهن السن فقعدن عن الحيض والحمل وهن اللاتي لا يرجون نكاحاً، وعلى فرض أنها منهم فإن ذلك لا يبرر لها تبرجها وهذا معنى قوله تعالى في الآية: ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ﴾ وهي تعلم جيداً خداعها، وتوقن أن هناك من الرجال من هو في سنها أو أكبر منها يرغبها ويستحسنها.

ومن النساء من تزعم أنها دميمة لا تسترعي أنظار الرجال، وهي تقول ما لا تعتقد، وتعمل ما ينادي بكذبها، إذ أنها تكثر في التبرج لتخفي هذه الدمامة. فإذا كانت تعتقد حقيقة أنها لم ينظر إليها رجل فلماذا تحاول إذن ستر هذه الدمامة بالأصباغ والزينة لتستلفت إليها الأنظار؟ ولماذا لا تسترها بالاختمار والتحجب؟ ومَن يضمن لهذه الدميمة عدم وجود من يستحسنها من

---

(١) سورة النور، الآية: ٦٠.

الرجال؟ فربما يوجد من يرى دمامتها جمالاً، بل ويوجد من الرجال الشره الذي يشتهي كل امرأة مهما كانت دميمة، فالنفس الخبيثة تستسيغ كل طعام، والنفس المحرومة الجائعة يعجبها أي غذاء. إذن لا يجوز لأي دميمة أو كبيرة أن تتبرج مهما كان سنها أو شكلها، وقد قيل في المثل: لكل ساقطة لاقطة.

وهناك من يدّعين أن التبرج هو ما تقتضيه مدنية العصر، وأنه عنوان العلم والتحضر، وإذا شاهدن امرأة سافرة كانت قد عهدنها ترتدي الزي الإسلامي يطلقن عليها مثقفة متنورة ولا أدري ما هذه الثقافة التي تجعل المرأة تتخلى عن دينها وأخلاقها وقيمها، وإذا رأين امرأة متحجبة يطلقن عليها رجعية (عملة قديمة) ويقلن لها بأنها من الزمن القديم. وهنا الزمن تغير ويجب أن تتغير حتى يجبروها على خلع الحجاب وارتداء الموديلات ووضع المكياج ليتمكنوا من تجريدها من القيم الأخلاقية والدين.

والحقيقة عكس ذلك، فإن المرأة المحتشمة طاعةً وحياءً، لا تقليداً ووراثةً، هي التي عرفت دينها وخافت مولاها، ومعرفة الدين والخوف من الله أعظم علماً وأكبر تنوراً وتمدناً، والطائشة المتبرجة تدل على أنها لم تعرف الحياء، وأنها جهلت دينها وربها، أو أنها عرفته

وأصرّت على عصيان خالقها، والجهل بالدين والجرأة على انتهاك حرماته هو أعظم جهل وتأخر، وأبعد شيء عن المدنية.

واللائي يدّعين أن التبرج من صغائر الذنوب التي يمكن محوها، لأن الحسنات يُذهبن السيئات، هن عن الآخرة غافلات، ولذلك يرين الكبائر صغائر، وأن حسناتهن الكثيرة ستمحو هذه الذنوب الصغيرة.

نعم إن الحسنات يُذهبن السيئات مع الندم والتوبة لا مع الإصرار على المعصية والجرأة والاستهتار بالسيئات، فإن السيئات عندئذٍ هي التي تذهب بالحسنات وتحرقها حرقاً، قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٧٠﴾[1].

أختي المسلمة إن التبرج هادم لكل الحسنات، وهو وسيلة لهدم حقيقة الإسلام، وهو إثم من أكبر الآثام، ففكّري كم مرة أتيت هذا الأمر الكبير، وكم أظهرتِ من عورة، وكم أيقظتِ من عين شرهة التهمت لحمك كالذئاب وتمتعت بجمالك، إن من يستصغر الذنب يكبر إثمه على قدر استصغاره له، إن الذنب كلما

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٧٠.

استعظمه العبد صغر عند الله تعالى، وكلما استصغره العبد كبر عند الله تعالى، فإن استعظامه يصدر عن نفور القلب منه وكراهيته له.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه في أصل جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه، فقال به هكذا[١]. وإنما يعظم الذنب في قلب المؤمن لعلمه بجلال الله تعالى، فإذا نظر إلى عظمة من عصى رأى الصغيرة كبيرة.

وقال بلال بن سعد رحمه الله: لا تنظر إلى صغر الخطيئة ولكن أُنظر إلى عظمة من عصيت.

فمن تزعم أن حجاب المرأة عائق عن مشاركتها الرجل في نهضته الفكرية والثقافية والاجتماعية، وإنما أولى الخطوات إلى أي نشاط فكري أو اجتماعي أن تسفر الفتاة عن وجهها وتحطم ما بينها وبين الرجل حاجزاً مما تسمُيه الستر والأدب.

وما يتحدث أحدهم عن جهل المرأة وتخلفها إلا ويجعل من صورة المرأة المتحجبة مظهراً لذلك.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

وما يتحدث عن ثقافة المرأة وتقدمها ونشاطها الفكري والاجتماعي إلا ويجعل من صورة المرأة العارية أو السافرة مظهراً لذلك.

(ويا ليت شعري متى كان الحجاب مانعاً شرعياً أو عرفياً أو عادياً دون التقدم حضارياً كان أو فكرياً؟

وهل تحدث التاريخ أن الحجاب حال في عصر من العصور ـ عبر تاريخ أمتنا المجيد ـ دون رقيها وتفوقها وظهور النبوغ فيها ومسابقتها للأمم في ميادين الحياة؟

الأمر على العكس، إن المسلمة حينما تمنع محاسنها عن رؤية الشباب لها إنما تقوم بتقديم قسط كبير في إخلاء عقول الشباب عن الاشتغال بها وبمحاسنها، وما تتركه في نفوسهم من إثارة لهيجان الطاقة الجنسية التي تكاد أن تترك عقل الشباب مشلولاً عن التفكير في مصير أمته ومستقبلها.

وهل ادّعى أحد من قادة الفكر في الأمة أن الحجاب للمرأة يرجع بها إلى الوراء إلا بعد أن ظهر على مسارح الثقافة دعاة الفكر الغربي والأوروبي الذين يتظاهرون بالعداوة للاستعمار وهم في مقدمة المؤيدين لتنمية أفكاره وبلورتها في صفوف الشباب والشابات

متجنبين بذلك كل المخاطر التي تردي بالمجتمع وتفككه ما دام أن رأيه يهدف إلى هدم قاعدة من قواعد الإسلام البغيض لدى أوروبا وأمريكا ومن نحا نحوهم من أعداء الدين القويم.

إن أبناء هذه الأمة تلحّفوا بمحاربة الاستعمار كوسيلة لنيل أغراض معينة، وغاية محاربتهم هذه الحفاظ على حرية ثروات البلاد واقتصادها، ولم يشعروا أنه قد استغلهم عملاء له ليجعل منهم من ينشر استعماره الفكري والخلقي، وأصبحوا آلة بيده يقلدونه تقليداً أعمى.

إنها نكسة حلّت بهذا المجتمع الذي أصبح لا يفرق بين الحق والباطل وبين الظلمات والنور وبين السم والدسم.

وما هذه الحملات التي تُشن على الحجاب ودعاته إلا إظهار لحقد دفين في نفوس المستعمرين وعملائهم من أبناء المسلمين على الإسلام والعقيدة، فهم اعترفوا في قرارة أنفسهم بأن الإسلام ضمان لحق كل فرد ومهذب لكل خلق، ولكنهم علموا أنه هو الحائل دون الوصول إلى تنفيذ رغبات أنفسهم من فسق وفجور وأكل ونهب وسلب، فلا علاج له إلا أن يزجوه بأحضان الرجعية ويتهموه بالتأخر وعدم الصلاحية لمسايرة الحياة العملية.

والإسلام بريء مما يتهمونه ورفيع عما يعتقدونه، فإنه جاء للإنسان ليحفظ له مجده وكرامته)[1].

بعد أن انتهينا من تفنيد الأقاويل والادعاءات نأتي إلى تفنيد الدعوات التي نادى بها البعض من الكتّاب الذين يجهلون الشريعة والمتأثرين بالثقافة الأوروبية، ومحاولتهم تطبيق معلوماتهم على القوانين الوضعية على الشريعة الإسلامية وأحكامها، ولا أدل على سقوط هذه الدعوات من تناقض أصحابها، فما يدّعيه البعض ينقضه البعض الآخر، وما يقيمه بعضهم يهدمه البعض الآخر. وسنتناول فيما يأتي الدعوات تباعاً ونبين بطلانها بعون الله:

١ ـ إن أماكن التدليس والغش في الزواج أو أمام القضاء في المحجبة وفقده في السافرة، مسألة لا تمت إلى الحجاب بصلة، وإنما تعود إلى جهل الناس بمبدأ الشريعة الإسلامية في تقريرها استحباب النظر إلى المخطوبة وضرورة الكشف أثناء الشهادة أو الدعوة إلى القضاء كما أسلفنا.

---

(١) د. عبدالملك السعدي، العلاقات الجنسية غير الشرعية وعقوبتها في الشريعة والقانون / القسم الأول، ص٢٧٨ ـ ٢٧٩.

٢ ـ دعوة إساءة ظن الغربيين بنا، حيث يفسرون الحجاب بعدم ثقة المسلمين بعفة نساءهم، قول غير وجيه، وما همّنا ذلك، لأنهم لا يحسنون بنا الظن إلا حينما ننسلخ عن ديننا وأخلاقنا ومعتقداتنا، وذلك ما لا يقبله منصف غيور، وقد قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾[1].

٣ ـ أما دعوى خيانة المحجوبة لافتقادها الثقة بالرجل، أو القول بعدم خوف المحجوبة من ارتياد أماكن الريبة، بعكس السافرة لعلمها بمعرفة الناس إليها. أو القول بشغف الممنوع إتيان ما منع منه باعتبار الحجاب يمثل المنع، مثل هذه الدعاوى يزيفها عقد مقارنة ولو كانت بسيطة بين المحجوبات والسافرات فيما يقترفان من الخيانة أو ارتياد أوكار السوء والريبة وهتك المحرمات، لأنه من المعروف بالبداهة مدى الكثرة التي تنعت بها السافرات بالمقارنة مع المحجوبات في التلبس بالمنكرات.

٤ ـ وأما اتفاق هؤلاء الكتّاب على كون الحجاب عادة غير إسلامية تأثرت بها نساء المسلمين نتيجة

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٠.

المجاورة والاختلاط بالأمم والشعوب المجاورة، فكلام يرده القرآن والسنَّة وواقع الحال بالنسبة للمسلمين:

أ ـ أما القرآن فقوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾[1]، ويقول جلَّ شأنه: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾[2]، ويقول سبحانه مخاطباً نبيَّه العظيم محمد ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾[3]، ويقول سبحانه أيضاً: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾[4].

فمن هذه النصوص الكريمة نعلم أن الحجاب مفروض على المرأة المسلمة بنصوص في كتاب الله قطعية الدلالة، وليس كما يزعم المتحللون أنه من

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣١.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٥٣.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٥٩.

(٤) سورة النور، الآية: ٣١.

العادات والتقاليد التي أوجبها تأثر نساء المسلمين بالأمم والشعوب المجاورة نتيجة المجاورة والاختلاط.

ب ـ ما ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يصلي الفجر فيشهد معه نساء من المؤمنات متلفعات بمروطهن ثم يرجعن إلى بيوتهن ما يعرفن أحد من الناس». وقالت: «لو رأى رسول الله ﷺ من النساء ما رأينا لمنعهن من المساجد كما منعت بنو إسرائيل نساءها». وقد روى نحو هذا عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، والدلالة في هذا الحديث من وجهين:

أحدهما: أن الحجاب والتستر كان من عادة نساء الصحابة الذين هم خير القرون وأكرمها على الله عزَّ وجلَّ وأعلاها أخلاقاً وآداباً، وأكملها إيماناً، وأصلحها عملاً، فهم القدوة الذين رضي الله عنهم وعمن اتبعوهم بإحسان، كما قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾[1]. فإذا كانت تلك طريقة نساء الصحابة فكيف يليق بنا أن نحيد عن

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٠.

تلك الطريقة التي في اتباعها بإحسان رضي الله تعالى عمن سلكها واتبعها، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾[١].

الثاني: أن عائشة أم المؤمنين وعبدالله بن مسعود رضي الله عنهم، وناهيك بهما علماً وفهماً وبصيرة في دين الله ونصحاً لعباد الله أخبرا بأن رسول الله ﷺ لو رأى من النساء ما رأياه لمنعهن من المساجد، وهذا في زمان القرون المفضلة، تغيرت الحال عما كان عليه النبيّ ﷺ إلى حد يقتضي منعهن من المساجد.

فكيف بزماننا هذا بعد حوالي أربعة عشر قرناً، وقد اتسع الأمر وقلّ الحياء وضعف الدين في قلوب كثير من الناس؟

وعائشة وابن مسعود رضي الله عنهما فهما ما شهدت به نصوص الشريعة الكاملة من أن لكل أمر يترتب عليه محذور فهو محظور[٢].

جـ ـ أما واقع حال المسلمين من الانتقاب بمحضر من الرسول ﷺ وتقديره لذلك، ما روي عن

---

(١) سورة النساء، الآية: ١١٥.

(٢) رسالة الحجاب، ص١٦ ـ ١٧.

فرج بن فضالة عن عبدالخبير بن ثابت بن قيس بن شماس عن أبيه عن جده قال: «جاءت امرأة إلى النبيّ ﷺ يقال لها أم خلاد وهي منتقبة تسأل عن ابنها وهو مقتول في الجهاد مع النبيّ ﷺ، فقال لها بعض أصحاب النبيّ ﷺ: جئت تسألين عن ابنك وأنت منتقبة؟ فقالت: إن أرزأ ابني فلم أرزأ حيائي»[1].

■ ـ دعوى منافاة الحجاب للحرية وكونه رمز العبودية تناقض بروز ذلك الحشد الهائل من النساء الأوائل المحجبات في كثير من ميادين الحياة ولا سيما في العلم والأدب والذكاء والقتال، فكان منهن الفقيهات والشاعرات ابتداءً بنساء الرسول ﷺ، وانتهاءً بنساء العصور المتأخرة.

٦ ـ أما دعوى أن الحجاب خاص بنساء الرسول ﷺ لما ورد من الآيات المتعلقة بهن هو قول غير صحيح، لأن الحجاب لما فُرض على نساء النبيّ وهن أمهات المؤمنين كان على غيرهن من باب أولى (ويبدو أن الحجاب مخالفاً لما كان عليه العرب في جاهليتهم، ولم يشرع تدريجياً وشيئاً فشيئاً حتى بالقوة، إذ لا يمكن فيه التدرج، فلما شرع دفعة واحدة كان أمراً عظيماً.

(١) رواه أبو داود.

فبدأ الله تعالى فيه بنساء الرسول ﷺ حتى لا يقال وما أكثر من يقول يومئذٍ والمدينة مليئة بالنفاق والمنافقين: أُنظر كيف ألزم نساء الناس البيوت والحجاب وترك نساءه وبناته غاديات رائحات ينعمن بالحياة... إلى آخر ما يقول ذوو القلوب المرضى في كل زمان ومكان، فلما فرضه على نساء رسوله لم يبقَ مجالاً لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن ترغب بنفسها عن نساء الرسول ﷺ فترى السفور لها ولا تراه لأزواج الرسول ﷺ وبناته، وهذا يُعرف عند علماء الأصول بالقياس الجلي)[1].

فالآية عامة للكل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ...﴾ مع كون (الأرجح أن الأمر كان خاصاً بنساء النبيّ ثم عُمِّم، فذلك هو الأقرب إلى طبيعة التكليف)[2].

والدليل على العموم وعدم التفرقة: هو عدم اقتصار التكاليف الشرعية الواردة بعد قوله تعالى: ﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ والتي هي ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ

(١) أبو بكر جابر الجزائري، المصدر السابق، ص٤٧.
(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن ٦/٦٠٩.

ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾[1] على نساء الرسول ﷺ إلى غيرهن من النساء المسلمات، فيباح لهن أن يخضعن بالقول ليطمع الذي في قلبه مرض، وكذلك أن لا يقلن قولاً معروفاً وأن لا يقرن في بيوتهن وأن يتبرجن تبرج الجاهلية الأولى، ولا يقمن الصلاة ولا يؤتين الزكاة ولا يطعن الله ورسوله، وهذا فهم خاطىء لا يمكن أن يكون (وفي هذه الآية الكريمة دلالات كبرى كلها تؤكد حكم الحجاب وتقرره).

أ ـ منع المؤمنة من ترقيق لها قولها وتليينه إذا تكلمت مع أجنبي عنها ليس محرماً لها.

ب ـ تقدير وجود مرض الشهوة في قلوب بعض الرجال وهو علة نهي المرأة عن ترقيق قولها.

جـ ـ وجوب تحديد العبارة والتكلم على قدر الحاجة بحيث لا تزيد المرأة إذا تكلمت مع أجنبي في كلامها ما ليس بضروري للإفهام، فلا يجوز منها إطناب ولا استطراد، بل يجب أن تكون كلماتها على قدر حاجتها في خطابها.

د ـ لزوم المرأة المسلمة بيتها وهو مقر عملها

---

(١) سورة الأحزاب، الآيتان: ٣٢، ٣٣.

الطبيعي فلا تخرج إلا لحاجة ماسة، إذ البيت هو محل تربية أولادها وخدمة زوجها وعبادة ربها بالصلاة والزكاة والصيام وذكر الله وما والاه[1].

٧ ـ أما بقية الأقاويل والدعاوى الفارغة لهؤلاء الكتّاب فإنها أوهى من التماس الأدلة لردها وأجدى لمن يتصدى لقراءتها السكوت، باعتباره خير جواب للأحمق، وإلا فما معنى تلك العبارات التهكمية في تصوير حجاب المرأة المسلمة؟ وما معنى التحسين والتعظيم لكل ما ينسب إلى الغير من الآراء والعادات والتي منها السفور مقابل تلك الإهانات والحط المشين للتقاليد الإسلامية والتي منها الحجاب؟

ما يستفاد مما تقدم من أدلة الحجاب:

١ ـ الحجاب ضرورة وفريضة لا مفر منها، وهو حماية للرجل والمرأة جميعاً.

٢ ـ الحجاب مفروض على جميع النساء المؤمنات، وهو واجب شرعي محتم.

٣ ـ الجلباب الشرعي يجب أن يكون ساتراً للزينة والثياب ولجميع البدن.

---

(١) أبو بكر جابر الجزائري، المصدر السابق، ص٤٥ ـ ٤٦.

٤ ـ الحجاب لم يُفرض على المسلمة تضييقاً عليها وإنما تشريفاً لها وتكريماً.

٥ ـ في ارتداء الحجاب الشرعي صيانة للمرأة وحماية للمجتمع من ظهور الفساد وانتشار الفاحشة.

٦ ـ لا يجوز للمسلمة أن تبدي زينتها إلا أمام الزوج أو المحارم من أقاربها.

٧ ـ على المسلمة أن تستر رأسها ونحرها وصدرها بخمارها لئلا يطلع عليها الأجانب.

٨ ـ يحرم على المسلمة أن تفعل ما يلفت أنظار الرجال إليها أو يثير بواعث الفتنة.

٩ ـ على جميع المؤمنين والمؤمنات أن يرجعوا إلى الله بالتوبة والإنابة ويتمسكوا بآداب الإسلام.

١٠ ـ الآداب الاجتماعية التي أرشد إليها الإسلام فيها صيانة لكرامة الأسرة وحفظ للمجتمع المسلم.

كلمة إلى الآباء والأمهات

عندما يرى أحدنا هؤلاء الفتيات العاريات المتبرجات في الشوارع والأسواق والأماكن العامة يتبادر إلى ذهنه تساؤل: أما لهن آباء وأمهات؟ أما لهن أخوة؟ أما لهن أزواج؟ فكيف يسمحون للأجانب أن ينظروا إلى عوراتهن؟

والجواب: نعم لهن آباء وأمهات وأخوة وأزواج، ولكن لم يستوعب أي منهم وكل من موقعه دوره ومسؤوليته في التربية الإسلامية الصحيحة أمام الله ورسوله وأمام الناس والمجتمع.

لقد كان المسلمون فيما قبل يتناقلون الإسلام وأفكاره ومبادئه وخلقه قولاً وعملاً وسلوكاً وخلقاً، يحث أحدهم الآخر عليه ويعيب أحدهم على الآخر عند مخالفته وتركه، فكان الأولاد يستلمون دينهم الإسلامي بعمومه من أهليهم وبيئتهم ومدارسهم وكل ما حولهم، حيث كان الدار دار إسلام والمجتمع إسلامياً، حتى

وصلنا إلى زمان تغير فيه الناس فتغيرت البيئة وضعف الدين وانقلبت المفاهيم فرجعنا القهقرى إلى الجاهلية الأولى بلباس جديد، فترك الناس وعظ أبنائهم وتعليمهم الإسلام، وتركوا العمل بالإسلام والتمسُّك بآدابه، فأصبح الأولاد لا يتلقون الإسلام لا من البيت ولا من الشارع ولا من المدرسة كإسلام صحيح، بل يتلقون غير الإسلام وما يخالفه من أفكار ونظم وخلق وحتى عبادات وطقوس، فتكوّن ما نراه من مجتمع يحمل اسم الإسلام وراثة من آبائهم لا رغبة فيها وهم بعيدون عن روحه وهويته، فتحولت أوطان المسلمين إلى دار غير دار الإسلام، وغدا المسلمون أشبه بغيرهم. وهذا ما يضاعف الجهود على الآباء ويزيد المشقة عليهم في تربية إسلامية صحيحة، ولكن الأجر على قدر المشقة والحسنة بعشر أمثالها، فإذا ضاعفنا الجهود وحذرنا من مغبة الوقوع في الكفر وفي عذاب الله، وأبدينا اهتماماً أكثر من الاعتيادي لأولادنا وأهلينا، استطعنا أن نحقق كثيراً مما نصبوا إليه من الإسلام والسلام والخير والأجر والثواب[١].

بعثت أخت مسلمة برسالة إلى أبيها من خلال

---

(١) أحمد الشيخ محمد الباليساني، واجب الآباء والأمهات تجاه الأبناء والبنات في الإسلام، ص٢٣٧.

إحدى المجلات الكويتية تعقيباً على رسالة كان قد بعثها أخوها إليه جاء فيها:

لقد قرأت رسالة أخي إليك فلم أجد فيها وصفاً أدق وأصدق من كلمة الضياع، فنحن ضائعون حقاً، وأنا على وجه الخصوص، إنني ضائعة في مكاني، وفي بيتي، فأنا لا أقود سيارة مثل أخي لكنني أرى أماكن وأعيش مع أشخاص وناس أكثر منه، أتدري كيف؟ عبر جهاز الفيديو الذي أحضرته لنا يا أبي! وإنني أرى كل ما يقع تحت يدي من أفلام وأشرطة، أراها وأتابعها بشغف، وكم تصنّعت المرض لأخذ إجازة مدرسية وأجلس إلى معلمي (الفيديو).

كم عشت بين عبقرية الممثلين والممثلات حتى أصبحت واحدة منهم، فهم يعيشون بداخلي، في قلبي، قد غرسوا في اللاشعور لدي، ولا غرابة إذن أن أحذو حذوهم في التصرف والأزياء والتسريحات والأفكار طبعاً.

كنت أفتخر بهذا وأعتز به ردحاً من الزمن، كانت أهم سني عمري وأنفعها لو تعلمت فيها الفنون المنزلية أو لو كنت فيها تلميذة متفوقة أو ناجحة على الأقل لكني الآن لا هذا ولا ذاك.

انتهت السنة الدراسية، نجح الجميع سواي، لماذا؟ لقد علمت الآن ـ وبعد فوات الأوان ـ أنني لم أكن تلميذة في المدرسة بقدر ما كنت تلميذة للفيديو.

وعلمت أنني كنت أعيش وهماً بكوني تلميذة للعباقرة المزعومين، والواقع أنني لم أكن سوى مسخاً حقيراً للأقزام.

ولك أن تتخيل يا والدي واقع هذا الوصف وأبعاده، إنه واقع لا أُحسد عليه على أي حال. اعلم أنك لستَ المتهم الأول والأخير، فقد شاركت أمي بالجريمة إن لم تكن هي المجرم الأول سامحكم الله جميعاً.

أتعتقد يا أبتِ أنني يمكن أن أتغير بين عشية وضحاها وأنا التي أصبحت أنسج الأحلام والأوهام عن الفارس الغني الجميل الذي سيلف ويدور العالم لنمرح ونضحك ونلعب، وأن أعيش في بيت لا ينقصه شيء، وأهم ما فيه (خادمة إلكترونية) تنفذ طلباتي بسرعة البرق لتوفر لي وقتاً أستمتع به مع الأهل والأصدقاء والتلفونات!! لكنني يا أبتِ عندما أذهب إلى غرفتي ـ وغالباً ما يكون ذلك بعد منتصف الليل ـ أسأل نفسي: كم فات من العمر؟ ولمَ لم يطرق بابنا أحد حتى الآن؟ فأجد الإجابة في لحظة

صدق مع النفس أنني غير كفء للزواج أو الأمومة أو أية مسؤولية.

فمَن ذا الذي سيتزوج الكسل والفشل والاستهلاك والسذاجة فليتقدم!! مَن هو؟

أبتِ، أريد أن أتعلم وأتغير، لكنني بحاجة للمساعدة والتشجيع لتعويض ما فاتني من العمر الضائع. أرجوك عُد بروحك ووجدانك إلى بيتنا، وتوقف عن العودة جسداً متعباً ينشد الراحة والهدوء والنوم فقط.

اقترب منا، حدِّثنا، علِّمنا، تعلَّم منا، إن الحياة أثمن من أن تذهب للبحث عن المال وكفى! بل البحث عن العلم والدين والخلق ثم يأتي المال وتبع العبد كما يتبع قدره.

عفواً أبتِ، أنا لم أقصد أنه ليس لديك من القيم شيء، لكن أسألك وأسأل نفسي: ما رأيك بالبيت الذي فيه ما فيه من أشرطة الفيديو دون حسيب أو رقيب[1]؟ وفيه ما فيه من العلاقات بين الخدم والسائق والشابات؟ هل يعتبر صاحبه على خلق ودين؟

---

(١) وما يقال بالأمس عن الفيديو كاسيت يقال أكثر منه اليوم عن الفيديو سي دي والدش، فالمسألة أدهى وأمر في غياب الحصانة والرقيب.

وما السبب؟ أجب نفسك يا والدي الغالي لتؤدي أمانتك التربوية تجاه ما تبقى من الصغار من أبنائك. فيكفيك ويكفيني ويكفي مجتمع المسلمين ضياعي[(١)].

إن هذه الرسالة بمفرداتها البسيطة تتضمن الكثير من الأمور التي أغفلت عنها الكثير من أسرنا المسلمة والتي تتطلب منا وقفة صادقة ومسؤولة لنحاول أن نضع النقاط على الحروف ليعرف كل منا دوره في محاولة إصلاح ما فسد والمساهمة في حصانة المجتمع الإسلامي وبناء نواته والتي هي الأسرة بناءً صحيحاً.

إنني حينما أتوجه بكلمة إلى الآباء والأمهات لا أتجه بها إلى من كان منهم جاحداً بالإسلام منكراً لعقائده وأحكامه، فليس بيني وبين هؤلاء أي سبيل للتفاهم والالتقاء.

ولكني أتجه بها إلى طائفة من الآباء يزعمون أنهم مسلمون، وربما كانوا يحضرون الجمع وبعض الجماعات، وربما رأيتهم في مواسم الدين والخير يتجمّلون بكثير من شعارات الإسلام وهديه، ولكنهم

(١) مجلة النور الكويتية، العدد ٥٣، السنة الخامسة، ضائعة ولكن في البيت، نقلاً عن مجلة التربية الإسلامية، العدد العاشر، السنة التاسعة والعشرون، شوال ١٤٠٨هـ، ص٦١٢ ـ ٦١٣.

رغم هذا يضيقون ذرعاً بتديُّن أولادهم وما قد يتحملون به من الوعي الإسلامي السليم فيذهبون في حرب هؤلاء الصغار كل مذهب، ويلجئونهم بالوسائل العجيبة المختلفة إلى سبيل الغواية والانحراف، لعل طعم الغواية يحرفهم، ولذة الانحراف تسكرهم[1].

(فكم من ابنة منكودة شقية أضلّها أبوها بضلاله، وعداها بفساده! نشأت لا تعرف الحياة ولا الدين، إذ نشأت في أحضان الرذيلة، ولم تعاشر وتخالط إلا الشياطين، ثم قذف بها ذلك الأب إلى زوج فاجر مثله من الفاسدين، فراحت فريسة فساد واستهتار الأب والزوج وهامت مثلهما في غياهب الضلال، وساقها معهما إلى الجحيم)[2].

(وأعلم فتيات مسلمات نبت غصن الإيمان بالله في أفئدتهن فاستجبن لنداء الله عزَّ وجلَّ فيما أمرهن به من الصيانة والستر، وأخذن يدنين عليهن من جلابيبهن أو أرديتهن، ولكن أنوف الآباء والأمهات رمت بهذه الاستجابة الواعية لنداء الله عزَّ وجلَّ، فجمعوا جهودهم على حربهن ومغايظتهن والكيد بهن، حتى بلغ الأمر

---

(١) الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، المصدر السابق، ص١١٣ ـ ١١٤.

(٢) حرم الدكتور محمد رضا، المصدر السابق، ص٦٠.

بالكثير منهم أن ضيّقوا عليهن سبل الإنفاق والعيش، يقبلون بالإكرام الوفير على البنت المستهترة البعيدة عن الدين، وينكمشون في الوقت ذاته عن أختها التي استقامت على أمر ربها ولبّت نداء دينها، في مغايظة وازدراء)[1].

إنها الفتنة العمياء التي ركبت رؤوس الكثير من الآباء والأمهات حتى جعلتهم ـ وهم يزعمون أنهم مسلمون ـ أن يجعلوا من بناتهم ستراً لهم عن الجنة بعد أن أكرمهم الله فجعلهن ستراً لهم عن النار، فالصبر على البنات وحسن تربيتهن له أجر كبير عند الله تعالى لما جاء عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**مَن ابتلي بشيء من البنات فصبر عليهن كن له حجاباً من النار**»[2]، وقوله: «**لا يكون لأحدكم ثلاث بنات أو ثلاث أخوات فيحسن إليهن إلا دخل الجنة**»[3].

لقد ضيّع الكثير من الآباء هذه المنزلة الرفيعة وهذا الأجر العظيم وأصرّ على معصية الله وانتهاك

---

(١) الدكتور البوطي، المصدر السابق، ص١١٤.

(٢) رواه الترمذي، عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) رواه الترمذي.

حرماته عندما قبل على نفسه أن يرافق بناته إلى النوادي والملاهي وغيرها وهن كاسيات عاريات مائلات مميلات، يمشين مشية خليعة تهز الصدور والأرداف، وترسل الشعور تداعب الأعناق والأكتاف، ولا يحمر خجلاً من أن يتهادى بين الغيد الحسان من بناته، بل يفرح إن حزن استحساناً، واسترعى جمالهن الأنظار، ويفخر بأن أنجب جمالاً جذاباً بهر الأبصار، ويطيق أن يرى أو أن يسمع التغزل بهم.

فأي ضلالة أعظم من أن يعمد الكثير من الآباء إلى رصيد من الخير أنعم الله عليهم به بدون أي جهد، فيركلوه بأقدامهم ثم يجهدوا جهدهم السخي إلى أن يحيلوه إلى عبء آخر من الأوزار يحملونه بلا سبب على ظهورهم.

(إن من الضروري تربية البنات على العادات والأعمال التي تنمي نسويتهن في البراعة في إيجاد السكن للأسرة والروعة في فنون الطعام والجمال في تنظيم البيت واحتضان أفراده، إن تعليم البنت أصول تربية الأطفال وحضانتهم وكيفية إعداد الطعام وطرق التغذية وأساليب تنظيم البيت ونظافته مهم جداً. . ويتم ذلك بتوجيه الأم بنتها وتكليفها ببعض الأمور المختصة بالنساء والمفيدة لرعايتها للبيت في المستقبل حتى لا

تنشأ جاهلة بأمور البيت والزوج والأولاد أو مسترجلة مترفعة على هذه الأمور ثم بعد ذلك تصطدم بالواقع حينما تجابه ظروف الأسرة وواجبات الأمومة وحقوق الزوجية، فإما أن تفشل في حياتها الزوجية والأمومة أو تعاني مشاقاً وصعوبات كثيرة حتى تستطيع إعادة نفسها إلى المسار الحقيقي لها على المشاكل والمعاضل التي تواجهها)[1].

فائدة:

يُطلب من المسلم أن يعوّد بناته منذ سن العاشرة على ارتداء الحجاب الإسلامي حتى لا يصعب عليهن بعد ارتداؤه، وإن لم يكن الأمر على وجه (التكليف) وإنما هو على وجه (التأديب) قياساً على أمر الصلاة[2] **«مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع»**[3].

ويا حبذا أن يعوّد المسلم ابنته على الحجاب من صغرها حتى يكون من فطرتها.

---

(١) الباليساني، المصدر السابق، ص٢٤٢.

(٢) الصابوني / روائع البيان في تفسير آيات الأحكام / ج٢، ص٣٨١.

(٣) رواه أصحاب السنن، وانظر الجامع الصغير للمناوي.

الخاتمة

أختي في الله:

أرجو أن أكون قد وفقت في تعزيز إيمانك بالله الذي هو الأساس في ارتدائك الحجاب لاتقاء سهام الشيطان المارقة الطائشة والتزام حدود الله وعدم الاعتداء عليها، ولأن إيمان الجوارح أجدر أن يسبق ما عداه من مظاهر إيمانية خارجية، وصدق رسول الله ﷺ حينما سئل عن الإيمان فأجاب: **«ليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل»**[1].

إن من مستلزمات هذا الإيمان[2] أن تضعي ما ورد في هذه الرسالة موضع الجد والاهتمام من

---

(١) رواه الديلمي وذكره السيوطي في الجامع الصغير.

(٢) راجع الدكتور سعيد رمضان البوطي، إلى كل فتاة تؤمن بالله، ص٩٦ ـ ١٠١.

تفكيرك، حتى إذا أيقنت أنني لم أخدعك بباطل من القول، ولم أضع بين يديك إلا الحقيقة الصافية التي يتمثل فيها حكم الله عزَّ وجلَّ، كان عليك أن تنهضي بتطبيق هذا الحكم، فإن رأيت أن حبال الدنيا وأهواءها وتقاليد الصديقات والقريبات مما هو ضال عن الله ورسوله تشدك إلى الخلف، تصدك عن النهوض بأمر الله، فلا أقل أن تفيض الحسرة والغصة في قلبك من ذلك فيسوقك الألم إلى باب الله تعالى وأعتاب رحمته، لتعرضي له ضعفك وتجأري إليه بالشكوى أن يهبك من لدنه قوةً وتوفيقاً، وأن يمنحك العون والرشاد لتتحري عن سلطان نفسك وسلطان التقاليد والعادات وسلطان الأقارب والصديقات.

أما إن لم ينهض بك الإيمان إلى هذا ولا إلى ذاك، ولم يتحرك القلب الذي وراء ضلوعك بأي تأثر واهتمام لكل هذا الذي حدثتك، فلتكوني في شك من إيمانك بوجود الله تعالى، وأبشري بالجاهلية الأولى بلباس جديد.

يقول المرحوم سيد قطب: (والجاهلية ليست فترة معينة من الزمان، إنما هي حالة اجتماعية معينة، ذات تصورات معينة للحياة، ويمكن أن توجد هذه الحالة،

وأن يوجد هذا التصور في أي زمان وفي أي مكان فيكون دليلاً على الجاهلية حيث كان)[1].

ولتعلمي أنك تسيرين - إن استمر بك الحال - إلى نهاية رهيبة وليس منها مخلص ولا مفر، ولتعلمي أن سكر الدنيا مهما كان لذيذاً يوشك أن تفجأك منها ساعة صحو، وأنها والله لقريبة منك، ولتعلمي أن مذاقها مهما كان طيباً فإن في نهايتها غصة ستأخذ منك بالحق وأنها لمقبلة إليك. ثم اعلمي أن ما من شاب يبتلي منك اليوم بفتنة تعذبه أو تشغل باله، وكان بوسعك أن تجعليه في مأمن منها إلا أعقبك منها غداً نكال من الله العظيم.

أختي المسلمة:

(ما تقولين لو جاءك الآن محمد ﷺ وأمامه جبريل وعن يمينه أبو بكر رضي الله عنه وعن شماله عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومعهم أمهات المؤمنين، وبيده الشريفة، وهو يبتسم، وطلب منك لبس الحجاب أسوة بأمهات المؤمنين ومرضاة لرب العالمين الذي يمسك

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن ٢٢/١٦، الطبعة الخامسة، ١٣٨٦هـ، ١٩٦٧م.

الطائرة أن تقع على الأرض كما أمسك السماوات العلى من قبل، هل ستطيعينه أم تعصينه؟ فإن كان الجواب نعم أطيعه، فطاعته ميتاً كطاعته حياً، فالرب واحد والشرع واحد لا يتغير والحساب آت في يوم تشخص فيه الأبصار ولا يغني والد عن ولده ولا مولود هو جازٍ عن والده شيئاً، فالحساب فردي)[1].

بعثت أخت مسلمة إلى أختها في الله رسالة عبر إحدى المجلات الكويتية جاء فيها:

(لنتخيل أنفسنا أمام الله تعالى... يحاسبنا على ما فعلناه في الدنيا، ونرى صحائف أعمالنا... صحائفنا التي غفلنا عن ملئها بالحسنات فغصّت بالخطايا.. ويطول وقوفنا، لا ملجأ لنا من الله إلا إليه.. في تلك الساعة ستتذكر أيامنا التي خلت في الدنيا... كيف كنا غافلين؟ كيف أضعنا وقتنا الثمين؟ بماذا ضاع ولِمَ ضاع؟ من أجل التسلي والتنعم.. فكم دام هذا التنعم؟ ساعة؟ يوماً؟ سنين؟ ثم ماذا بعد؟ حساب وميزان أعمال؟ نار وجنة؟ ماذا سيكون شعورنا عندما نرى المؤمنين نورهم

---

(١) أحمد القطان، سري وللنساء فقط، ج٢، ص١٢، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م، دار الدعوة للنشر والتوزيع، الكويت.

يسعى بين أيديهم وهم يدخلون الجنة خالدين فيها لا تعب ولا نصب ولا موت ولا تعاسة. سعادة أبدية ونعيم خالد مقيم.

وماذا سيكون شعورنا وبالهول ذلك إذا ساقتنا زبانية جهنم، حيث النار المشتعلة والزقوم والثعابين والعقارب؟ ثم بعد ذلك كيف انتهت دنيانا؟ ألهذا كنا نعيش؟ أكنا نتمتع ونلعب ونلهو لنلاقي هذا اليوم حيث حساب ولا عمل؟ وبالأمس حيث عمل ولا حساب؟ عندما تنتهي دنيانا ويذهب عنا أهلنا وأصدقاؤنا وأقرب الناس إلينا، أحبابنا جميعاً في شغل شاغل عنه، كل يهتف: نفسي نفسي، وأنا وأنت نهتف: نفسي يا رب يا رب.

هنا نشعر بمعنى كلمة (الله) هنا سنعرف كم نحن مقصرون تجاه رب العزة وكم نحن ظالمون أنفسنا! أختي... لم أعرف في حياتي أعدى إلى نفسي من نفسي... هذه النفس الأمّارة بالسوء كلما حاولت أن أثبت على الحق، كلما هممت أن أمتثل لأوامر الله جاءت إليّ بإملائها وتشويقها فهوّنت عزيمتي وقتلت تصميمي وسيطرت على كل كياني، فاستسلمت لها وكنت عبدتها المطيعة تسيّرني كيف شاءت، فأمشي طوع أمرها، وتأمرني بكل منكر فلا أملك إلا السمع والطاعة، هناك وفي تلك اللحظات أحسست أني أعبد

الله كذباً أني لم أعبد الله بل كنت أحب نفسي وكنت ممن نهى الله ورسوله عنهم: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾[1] اكتشفت أني لم أكن حرة، بل أمة لأهوائي ونوازعي ونفسي الأمّارة، فكنت أدعو فأقول: «اللّهم إني أعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه وركبه وأعوذ بك أن أسيء إلى نفسي أو أجلب إساءة إلى أحد من خلقك».

دعوت الله في صلاتي وناجيته في قلبي وتقربت إليه ليرشدني إلى الصراط المستقيم، والحمد لله على منّه علي إذ منَّ بالهداية فبتُّ دائماً أستشعر أني في ساحة معركة ولي أعداء كثيرون، من هؤلاء الأعداء: الشيطان عليه لعنة الله، ونفسي والهوى، وإغراءات الدنيا الكثيرة.

أما عدوي الأول، فتعرفت على صفاته، فحاولت الابتعاد عنه، الشيطان عدو الإنسان، وهو الذي يحاول أن يوقعنا في الذنوب والمعاصي لكي يجرنا إلى نار السعير، وقصة الشيطان مع الإنسان طويلة جداً لا أستطيع إيجازها لك يا أختي المؤمنة.

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٢٨.

أما نفسي، فأتغلب عليها بسهولة، أتعلمين كيف؟ تخيلت نفسي وأنا ملقاة في القبر، مكان مظلم موحش، التراب ينهال علي من كل جهة وأهلي تركوني وذهبوا، وبقيت وحدي، ليس لي أحد ينقذني، وجاءني الملكان، كنت في الدنيا أرى الناس كثيرين، ضحكت معهم وخالطتهم وضيّعت وقتي معهم في الحديث، مرح وضحك ومزاح، كنت أقضي ساعات طوال أمام التلفزيون والفيديو، وأشاهد ولا أمل، ثم بعد ذلك ماذا حدث؟ انتهى بي المطاف إلى هذا المكان الموحش، وليتني أسكن فيه بلا حساب ولا عقاب لكان هذا أمراً هيناً، ولكن هذا القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار، تُرى ماذا سأفعل عندما يسألني الملكان عن ديني وعن نبيي؟ ماذا سأفعل عندما يصعدان بروحي إلى السماء إلى ربي؟ ربي الذي ضعفت نفسي فلم أطعه ولم أمتثل لأوامره؟ كيف طاوعت نفسي في تلك اللحظات أن أعصيه؟ ما أغباني وأنا أعلم أنني سأواجهه لا محالة، كيف سيكون حالي يوم القيامة عندما تهرع كل أمة لنبيها فأهرع أنا لنبيي لآخذ من يده شربة ماء من حوضه الشريف فلا أستطيع، تمنعني الملائكة لأنني لم أطع الله تعالى ولم أعمل بما يأمرني به، أترى بعد هذا كله للنفس سيطرة علي؟ كلا وألف كلا، فأنا أكبر من أن أخضع لها وأنا أقوى من أن

أستسلم لها لأكون كأي حيوان مسيَّر لا يعلم إلى أين مآله، فأنا إنسانة مسلمة مؤمنة، إسلامي يأمرني أن أتحجب عن الرجال الأغراب، أأطيع نفسي الشريرة وأكشف للأجانب؟ ولماذا؟ لكي يقولوا عني أنني جميلة؟ وماذا سينفعني ذلك؟ وماذا سينفعني جدالهم؟ سواء أكنت جميلة أم لا فإنني أحاسَب وحدي، ثم إن ذلك تقصير في حق نفسي، فأنا غالية، والله قد خلقني كذلك، وأنا خُلقت لكي أكون مصانة عفيفة طاهرة لا يراني إلا من رضي الله له أن يراني، أما غيرهم فلا يستحقون أن أُعذَّب من أجلهم، فأنا أعقل من ذلك، مَن هم هؤلاء الناس؟ أسيُدفنون معي في قبر واحد؟ هل سيُحاسبون عوضاً عني؟ كلا والله ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾، أعمالي لي، فإن ضحكوا عليّ من أجل الحجاب فربي راضٍ عني، وإن سخروا مني لأن شكلي ملفت للنظر فرسول الله قدوتي ونساء المسلمين أخواتي سيفرحون بي في الجنة، حتى وإن تعبت قليلاً في هذه الدنيا الفانية الزائلة فسوف أرتاح في الآخرة)[1] اهـ.

---

(١) أم بداح، مكة المكرمة، مجلة النور الكويتية، العدد ٣٨، السنة الرابعة لشهر ذي القعدة ١٤٠٧هـ، نقلاً عن مجلة التربية الإسلامية، العدد الثالث، السنة التاسعة والعشرون لشهر ربيع الأول ١٤٠٨هـ، رسالة إلى مؤمنة، ص١٧٧ ـ ١٧٩.

أختي المسلمة:

أفيقي من غفلتك وانصتي لآيات الله بقلبك واخشعي واقنتي لربك واسجدي واركعي، ارجعي ارجعي، وبادري إلى التوبة قبل فوات الأوان وسارعي إلى مغفرة من ربك وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين، واقتحمي حصن الشيطان الرجيم وانسفيه بالذكر الحكيم وارتدي حجاب رب العالمين من قبل أن يأتي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. فطوبى لمن اهتدى، وويل لمن أصرّ بعد أن دعي.

صدر للمؤلف

يتناول هذا الكتاب الحديث عن معنى التبرج، وحكمه، وأسباب التبرج، وحجج المتبرجات في عدم التزام الحجاب، ومن ثم الحديث عن نتائج التبرج.

ويقع الكتاب في (٧٢) صفحة من الحجم الكبير، وقد صدر بطبعتين داخل العراق وفي طريقها إلى الصدور، الطبعة الثالثة خارجه.

يتناول هذا الكتاب الحديث عن مظاهر الصحوة الإسلامية والتحديات التي تواجهها الصحوة الإسلامية من الداخل والخارج.

يقع الكتاب في (٤٠) صفحة من الحجم الكبير.

يتناول هذا الكتاب الحديث عن الخلافات الزوجية، وأسبابها، ونشوز الزوجة ونشوز الزوج وطرق علاجهما، ويستعرض بعض الوسائل في معالجة الخلاف بعد وقوعه، وكذلك الحديث عن الطلاق وحق الطلاق للمرأة في الإسلام.

يقع الكتاب في (١٢٨) صفحة من الحجم المتوسط، صدر بطبعتين عن دار ابن حزم في بيروت وبطبعة واحدة داخل العراق.

يتناول هذا الكتاب الحديث عن موضوع تحديد جنس الجنين في المنظور الشرعي، هذا الاكتشاف الذي أثار جدلاً إسلامياً بين مختلف علماء المذاهب الإسلامية لتحديد الموقف الشرعي من تحديد جنس المولود قبل أن يأتي إلى الدنيا، وهل يمكن للمسلم أن يسلك هذا الطريق في الحصول على جنس المولود الذي يرغب؟ وكيف يمكن التوفيق بين تحديد جنس المولود وبين الآيات القرآنية التي بينت أن علم ما في الأرحام أمره متروك إلى الله تعالى وليس لأحد من البشر أن يتدخل فيه؟

ويقع الكتاب في (٣٢) صفحة من الحجم الصغير.

صدر للمؤلف

١ ـ الإسلام وحقوق المرأة السياسية.
٢ ـ رسالة إلى غير المحجبات.
٣ ـ من المكلف بالدعوة إلى الله؟
٤ ـ زاد الداعية إلى الله.
٥ ـ الابتلاء والمحنة في حياة الداعية.
٦ ـ منارات هادية على طريق الدعوة والداعية.
٧ ـ واجبات الداعية المسلم.
٨ ـ الزواج الإسلامي السعيد.
٩ ـ تعدد الزوجات في الإسلام، كيف؟ ولماذا؟
١٠ ـ الدين النصيحة، جزءان.
١١ ـ الصلح مع اليهود بين الوهم والحقيقة.
١٢ ـ الإعلام الإسلامي . . الواقع والحقيقة.
١٣ ـ لا وقت للفراغ في حياة المسلم.
١٤ ـ ملاحظات إسلامية حول نعوت التطرف والأصولية.
١٥ ـ الدعاء هو العبادة.
١٦ ـ حكم التوسل بالأنبياء والصالحين.
١٧ ـ حماس والمشروع الإسلامي البديل.

١٨ ـ الخلافات الزوجية في ضوء الكتاب والسنَّة.

١٩ ـ شذرات وقطوف.

٢٠ ـ أدبُ الاختلاف في الإسلام ثقافةً وسلوكاً.

٢١ ـ الفتن ومواقف السلف.

٢٢ ـ العولمة وخيارات المواجهة.

٢٣ ـ نظريات معاصرة في الصراع الحضاري.

٢٤ ـ تطبيق الشريعة الإسلامية، المرجعية والمنهج.

٢٥ ـ مشروعية التنظيم والعمل الجماعي.

٢٦ ـ التعاون بين الجماعات الإسلامية، مجالاته.. ضوابطه.

٢٧ ـ الجماعات الإسلامية وقضية التعددية السياسية.

٢٨ ـ تحديد جنس الجنين في المنظور الشرعي.

٢٩ ـ الصحوة الإسلامية المعاصرة (المظاهر والتحديات).

* * *

الفهرس

الموضوع	الصفحة
إهداء	٥
تقديم	٧
مقدمة الطبعة الثامنة	٢٥
مقدمة الطبعة الثانية	٤١
معنى الحجاب	٦٧
مشروعية الحجاب	٧١
حدود الحجاب في نظر الإسلام	٨٢
مواصفات الحجاب وشروطه	٩٧
إبداء الزينة	١١٥
أقوال لا رصيد لها	١٣٣
كلمة إلى الآباء والأمهات	١٥٨
الخاتمة	١٦٩
صدر للمؤلف	١٧٨